مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد
https://jfpsu.journals.ekb.eg/

P-ISSN: 2356-6493 E-ISSN:2682-3551

الهجرات القبلية والمذهبية بين الإيرانيين والعثمانيين فى العصر الصفوى (٩٠٧- ١١٦٩هـ/١٥٠١- ١٧٥٦م)

الدكتورة / خفة سعد مصطفى

مدرس التاريخ والحضارة الفارسية، قسم اللغات الشرقية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس

kheffa.saad@gmail.com

10.21608/jfpsu.2025.393074.1448

تاريخ الإرسال : ٢٠٢٥/٥/١م **تاريخ القبول :** ٢٠٢٥/٧/٢م

تاريخ النشر : ٢٠٢٥/٧/١٤م

This is an open access article licensed under the terms of the Creative Commons Attribution International License (CC BY 4.0). http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الهجرات القبلية والمذهبية بين الإيرانيين والعثمانيين فى العصر الصفوى (٩٠٧- ٩١١٦٩/١٥٠١- ١٧٥٦م)

مستخلص

الهجرة تمثل أهمية كبرى فى الكشف عما يتمتع به الإيرانيون والعثمانيون من قوة فى العلاقات والترابط ليس فى العصر الصفوى فقط بل من قبل ذلك والترابط بينهما قوى وله جذور ثابتة وعميقة بين الشعبين ، حتى وإن شابت العلاقات بعض العسرات سواء كانت سياسية أو عسكرية ،.وبناء عليه تحظى العلاقات بين الشعبين الإيراني والعثماني بأهمية خاصّة على مستوى العلاقات المتعددة فى العصر الصفوى (٩٠٧- ١١٦٩هـ/١٥٠١- ١٧٥٦م) ويشير هذا البحث إلى أهمية الهجرة بين الشعبين كمتنفس ضرورى لما كانت عليه أحوال الشعبين وما كانت تئن تحته من اضطهاد وغيره من التضيق عليهم فى الحياة وفقدان الأمن والأمان فى كثير من الأوقات،كما يكشف لنا وللقارئ عن أسباب الهجرة بين الشعبين الإيرانى والعثمانى و والأبعاد المترتبة عن هذه الهجرة .

لعبت الهجرات القبلية دورا بارزا على مدى التاريخ بين الفرس والأتراك ،وكانت هذه الهجرات تتجه جنوبا ثم غربا نحو آسيا الصغرى ، وقد رصد المؤرخون هذه الهجرات وما نتج عنها من صراعات وبعد الإسلام كانت كانت دولا متعددة القوميات حتى بدأ عصر الأيدلوجيات المذهبية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الإيرانيون، العثمانيون، العصر الصفوى.

Tribal and Sectarian Migrations between Iranians and Ottomans during the Safavid Period (1501–1756 CE / 907–1169 AH)

Dr. Khafa Saad Mustafa
Lecturer in Persian History and Civilization
Department of Oriental Languages
Faculty of Arts and Humanities
Suez Canal University

Abstract

Die Migration ist von großer Bedeutung, um die Stärke der Beziehungen und Verbindungen zwischen Iranern und Osmanen nicht nur in der Safawiden-Ära, sondern auch davor zu verdeutlichen. Die Verbindung zwischen beiden Völkern ist stark und tief verwurzelt, auch wenn sie durch politische und militärische Schwierigkeiten beeinträchtigt wurde. Daher sind die Beziehungen zwischen dem iranischen und dem osmanischen Volk auf der Ebene der vielfältigen Beziehungen in der Safawiden-Ära (907–1169 n. Chr./1501–1756 n. Chr.) von besonderer Bedeutung.

Diese Untersuchung unterstreicht die Bedeutung der Migration zwischen den beiden Völkern als notwendiges Ventil für die Lebensbedingungen beider Völker, die Unterdrückung und andere Härten, die sie im Leben erlitten, sowie den Verlust von Sicherheit und Geborgenheit. Sie offenbart uns und dem Leser auch die Gründe für die Migration zwischen dem iranischen und dem osmanischen Volk und die daraus resultierenden Dimensionen.

Stammeswanderungen spielten im Laufe der Geschichte zwischen Persern und Türken eine bedeutende Rolle. Diese Wanderungen führten zunächst nach Süden und dann nach Westen in Richtung Kleinasien. Historiker haben diese Migrationen und die daraus resultierenden Konflikte dokumentiert. Nach dem Islam waren sie Vielvölkerstaaten, bis die Ära der sektiererischen Ideologien begann.

Keywords: Migration, Iranians, Ottomans, Safavid era.

المقدمة

قبل الشروع فى التعريف بموضوع البحث فإنه من الضرورى على الباحث أى يبين الفرق بين الهجرة والتهجير، وأى المصطلحين يتفق مع موضوع البحث. فالهجرة: هي عملية يتمُّ من خلالها رحيلُ الفرد من بلده إلى بلاد أخرى طوعاً، وليس كَرهاً، بمعنى أنّه يرحل بإرادته الكاملة، لأسباب اجتماعية، أو شخصية، حيث يصبح هذا الفردُ مقيماً دائماً، أو مؤقتاً، أو مواطناً في دولة جديدة. أما التهجير:هو سياسية إكراه، وتشريد، وإرغام على مغادرة مسكن، أو بلد بسبب الحرب، أو نزاع مسلح، أو فتنة سياسية، أو مُخطَّطات تهجيرية، وتطهير عرقي، وعبارة عن ممارسات من قِبل حكومات، أو قوى عسكريّة، أو مجموعات مُتعصِّبة لعرق، أو دين، أو مذهب ما، ويحدث التهجير عندما يكون هناك طرف ما يهدد أمن مجموعات مختلفة من الناس، وعنوان البحث الهجرات القبلية والمذهبية فى العصر الصفوى العثمانى (٩٠٧- ١١٦٩هـ/١٥٠١- ١٧٥٦م).

فالهجرة بين الشعبين الإيراني والتركى تكشف عما يتمتع به الإيرانيون والعثمانيون من علاقات تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ مما أعطى للعلاقات التاريخية بين الشعبين خاصية تمتع بها الشعبان الإيراني والتركى على المستوى القومى والمذهبى والاجتماعى والثقافى.

ينقسم المجتمع إلى عدة طبقات على رأسها الأسرة الحاكمة، وعلى رأس الأسرة الحاكمة يقف السلطان أو الشاه، فالمجتمع العثمانى تعددت فيه الجنسيات بين الترك والعرب والأتراك هم كرد وآذذربيون وتركمان وقزاقومغول وأوزبك...الخ.

وهذا التعدد أدى إلى تنوع دينى ضم المسلمين والنصارى واليهود،وديانات أخرى، وكذلك المجتمع الإيرانى تعددت فيه الجنسيات بين ترك، وفرس وعرب وطاجيك وأفغان ...الخ، مما ساعد على قبول الهجرة بين هذين الشعبين.

ومما ساعد أيضا على هذه الهجرات التشابه القوى بين مجمل النظم المتبعة في الدولتين، فالأرض تعتبر مورد المال الأول لكل من الدولتين ،والتشابه الكبير إلى حد ما بين العادات والتقاليد في المأكل والملبس، وما إلى ذلك من النشاطات الاجتماعية،ومثله أيضا تبادل الثقافات والفنون والآداب نظر إلى أن الدولتين كانتا تضم أجناسا متعددة وكان العنصر

التركى هو السائد فى الدولتين وكذلك اللغة التركية نالت المكانة في الدولتين م،وكان لكثافة المصطلحات الإدارية التركية في الدولة الإيرانية الدليل الكافي إلى ماتصبو إليه، أما اللغة الفارسية فهى لغة الثقافة والأدب ليس عند الإيرانيين فحسب، بل عند الأتراك العثمانيين أيضاً فلم تضمحل في تلك الآونة لاستمرارها على مكانتها السامية،ومثلها اللغة العربية، فقد بقيت تحتل مكانتها المرموقة على أنها لغة الإسلام والقرآن والثقافة الدينية وحتى الأدبية.

مشكلة البحث:

تتمحور حول الهجرات القبلية والمذهبية فى العصر الصفوى حيث كانت الدولة مذهبية شيعية ،أجبرت القبائل على التحول من المذهب السنى إلى المذهب الشيعى ،بينما كان الأتراك فى آسيا الصغرى يقيمون الدولة العثمانية التى تدين بالمذهب السنى .

كانت الهجرات بين الدولتين الصفوية والعثمانية هى هجرات قبلية أحيانا ومذهبية أحيانا أخرى إذا انتقل الأفراد والجماعات من دولة إلى أخرى تبعا للمذهب.فى هذا البحث أرصد هذه الهجرات فى ثلاثة عناصر.

هدف البحث:

يتمثل هدف البحث فى معرفة أسباب الهجرات وما تركته بين الشعبين من أبعاد.

أهمية البحث:

تشير أهمية البحث إلى الفائدة العلمية التى يقدمها البحث للمعرفة الإنسانية أو العلمية والمتمثلة فى الكشف عن أسباب الهجرات بين الشعبين الإيرانى والعثمانى و الآثار الاجتماعية والثقافية الناتجة عن هذه الهجرات.

منهجية البحث:

تعتبر منهجية البحث هي مجموعة من الخطوات المنظمة التي يتم من خلالها دراسة أسباب الهجرة بين الشعبين الإيرانى والعثمانى وتحليل هذه الأسباب وما ترتب عليها من أبعاد..معتمدة على المنهج التاريخى متضمنا الوصف والتحليل.

حدود البحث:

تتضمن حدود موضوعية و مكانية و زمانية :- الموضوعية : الهجرات بين الشعبين الإيراني والعثمانى وما ترتب عليه . والزمانية : حدود العصر الصفوى (٩٠٧-١١٦٩هـ/١٥٠١- ١٧٥٦م).- المكانية : الدولة الصفوية والدولة العثمانية.

تقسيم البحث :

يتضمن تقسيم البحث بعد المقدمة تمهيد وأربعة مباحث ، وخاتمة متضمنة العديد من النتائج.

التمهيد: ويتضمن أهمية العلاقات بين الدولتين الصفوية و العثمانية.و أسباب الهجرات.

المبحث الأول:

يتناول هجرات الإيرانيين إلى الدولة العثمانية.

المبحث الثانى:

يتناول الأبعاد المترتبة على هجرات الإيرانيين إلى الدولة العثمانية.

المبحث الثالث:

يتناول هجرات العثمانيين إلى الدولة الصفوية.

المبحث الرابع:

يتناول الأبعاد المترتبة على هجرة العثمانيين إلى الدولة الإيرانية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

التمهيد

الهجرة بين شعبى الدولتين العثمانية والصفوية ذات جذور عميقة

التهجير بين شعبى الدولتين العثمانية والصفوية يضرب بجذوره إلى عهد قديم ، وقبل قيام الدولتين ،فهو لم يكن حديثى العهد ، بل يعتبر التهجير التيموري هو الخطوة الأولى في الهجرة المنظمة للأتراك الأناضوليين إلى إيران، وتحديدًا إلى مدينة أردبيل (١) التي كانت مركزًا مهمًا لمشيخة الأسرة الصفوية في عهد الشيخ علاء الدين علي (١٣٩٢-١٤٢٨م). (٢) استقر العديد من هؤلاء المهاجرين في تلك المنطقة بعد أن تزوجوا من نساء أذربيجانيات وغيرهن من السكان المحليين، مما أدى إلى تأسيس العديد من الأسر الجديدة. هؤلاء المهاجرون أطلق عليهم لاحقًا اسم "روملو" نسبة إلى هجرتهم من بلاد الروم، أي من الأراضي العثمانية وكونوا أسرات متعددة تمثل النواة الأولى. (٣)

مفهوم الهجرة:

الهجرة فهي عملية يتمُّ من خلالها رحيلُ الفرد من بلده إلى بلاد أخرى طوعاً، وليس كَرهاً، بمعنى أنّه يرحل بإرادته الكاملة، لأسباب اجتماعية، أو شخصية، حيث يصبح هذا الفردُ مقيماً دائماً، أو مؤقتاً، أو مواطناً في دولة جديد.

مفهوم التهجير:

أما التهجير فهو خلاف الهجرة ، وهو عبارة عن ممارسات من قِبل حكومات، أو قوى عسكريّة، أو مجموعات مُتعصِّبة لعرق، أو دين، أو مذهب ما، تهدف إلى خروج الأفراد من بلد إلى أخرى ،وقيل إخلاء الأرض من سكانها، لإحلال سكان آخرين فيها، وعادة ما يحدث التهجير بسبب النزاعات الداخلية المُسلَّحة، أو بسبب الصراعات ذات الطابع الديني، أو العرقي، أو المذهبي، أو العشائري، ويحدث التهجير عندما يكون هناك طرف ما يهدد أمن مجموعات مختلفة من الناس،(٤) ويُعرّف التهجير في معجم اللغة العربية

---

(١) *أردبيل* مدينة إيرانية تقع شمال غرب البلاد عاصمة محافظة*أردبيل* من أشهر مدن أذربيجان ، ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر،بيروت (د.ت) ١/ ١٤٥.

(٢)باستاني باريزي:، إبراهيم:سياست واقتصاد عصر صفوى،تهران ١٣٦٧هـ،ش. ص ١٣.

(٣)مجهول: تاريخ قزلباشان ،به اهتمام :مير هاشم محدث ،تهران ١٣٦١هـ ص ١١.

(٤) عبدالله البسنانى :معجم الوافى ،مكتبة لبنان ،بيروت ١٩٨٠م ، (هـ . ج .ر) وانظر عادل عامر، "مفهوم التهجير القسرى في القانون الدولي العام"، www.diwanalarab.com، اطّلع عليه بتاريخ ١٩-١٠-٢٠١٨.

بأنه سياسة إكراه، وتشريد، وإرغام على مغادرة مسكن، أو بلد بسبب الحرب، أو نزاع مسلح، أو فتنة سياسية، أو مُخطَّطات تهجيرية، أوتطهير عرقي. (١)

شخصيات لها دور بارزفى الهجرة إلى شرق وجنوب الأناضول:

كان لبعض الشخصيات دور مهم فى القيام بهجرات أخرى فى شرق الأناضول وجنوبه حتى تخوم بلاد الشام الشمالية ووصلوا إلى كلز (٢) وأنطاكية (٣) مثل الشيخ سلطان جنيد (١٤٤٧-١٤٦٠م) فكان سببا فى إرساء رغبة انتقال عدد من التركمان ومن تخوم بلاد الشام الشمالية إلى إيران، دعمًا لمن يقومون بتوجيههم وإرشادهم (٤)كما تزايدت الهجرات من قبيلة "تكة لوه" التي كانت تقيم في إمارة "تكة" بجنوب الأناضول، لا سيما بعد ملاحقة السلطنة العثمانية للزعيم "شاه قولي" (٥) وأتباعه في تلك المنطقة(٦) مما أدى إلى هجرة حوالي خمسة عشر ألفًا منهم إلى إيران خوفًا من الجنود العثمانيين. وعندما انتبه السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م) لهذا التحرك، قام بتهجير البقية المتبقية من التركمان إلى منطقة المورة، (٧) وذلك لمنع التحاقهم بالشاه إسماعيل الأول (١٥٠١-١٥٢٤م). رغم هذا، عندما علم الشاه إسماعيل بهذا التهجير، أرسل إلى السلطان العثماني مبعوثًا يطلب منه السماح لمؤيديه بالانضمام إليه. (٨) وبتتبع الأمر وجد أن السلطان لم يكن مهتما بمطالب الشاه ولم يلق لها بالا. (٩)

---

(١)"تهجير"، www.maajim.com، اطّلع عليه بتاريخ ١٩-١٠-٢٠١٨.

(٢)كلز:مدينة في جنوب تركيا تقع على الحدود السورية مباشرة شمال حلب، ياقوت الحموى: معجم البلدان ٤/ ٤٧٦.

(٣)*أنطاكية* : مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط في محافظة حطاي التركية. معجم البلدان، دار صادر،بيروت (د.ت) ١/ ٢٦٦.

(٤)تاريخ قزلباشان ص ٨٨ ،ومريم مير أحمدي دين و دولت در عصر صفري،تهران ١٣٦٩هـ ش ١٥ تاريخ قزلباشان ص ٨٨ ،ومريم مير أحمدي دين و دولت در عصر صفري،تهران ١٣٦٩هـ ش١٥.

(٥) (شاه قلي أو شاهقلي بابا تكه لى) بالتركية (Şah Kulu Baba Tekeli هو أحد أهالي قرية يالملي في منطقة كركتالي في مدينة أنطاكيا يدعى ببابا شاهقلي وتكه لي تعني بأنه من عائلة تكه. شاهقلي كان أحد قادة الشيعة الموالين للصفويين في الأناضول .والده هو حسن خليفة بابا وهو أحد المريدين للشيخ حيدر والد الشاه إسماعيل الصفوي. معلومات عن شاه قلي على موقع "viaf.org .viaf.org. مؤرشف من الأصل في ٢٠٢١-٠٤-١٧.

(٦)قطب الدين النهروالي ، ت ٩٩٠هـ: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،بيروت ١٩٦٤م .ص ٢٦٠.

(٧)المورة : هو اسم شبه جزيرة البيلوبونيز في جنوب اليونان في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث. وأشار الاسم أيضا إلى المقاطعة البيزنطية في المنطقة، والمعروفة باسم مقاطعة مورية.

How to pronounceالمشورة in Arabic HowToPronounce.com

(٨)بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم،القاهرة ١٩٧٦م، ص ٤٥.

(٩)هامر ،ف .ب:تاريخ امبراطورى عثمانى،ترجمة ميرزا زكى على مازندرانى،به اهتمام:جمشيد كيان فر،تهران ١٣٦٧هـ ج ٢ ص ٧٦٢. نظام الدين مجير شيباني سياست صلح و دوستي شاه إسماعيل صفوي يا إمبراطوري عثماني .مجلة برر سيهاي تاريخي شماره ٥ سال سوم، ص ٢٤٠.

أما فيما يخص الهجرات الأخرى من قبيلتي "استاجلو" و"ذلقادر"، ، فقد شهدت الأراضي الإيرانية تدفق أعداد كبيرة حين تركوا مناطقهم في ديار بكر والتحقوا بالأسرة الصفوية بعد مقتل الشيخ سلطان حيدر (١٤٦٠-١٤٨٨م)، والد الشاه إسماعيل الأول. كما سار على نهجهم رجال قبيلة "ورساق" الذين تركوا مناطقهم في "قره مان" ([١]) والتحقوا بالشاه إسماعيل في آذربيجان، دعمًا له في فترة مهمة من تاريخ حكمه. ([٢]) أراد السلطان سليم الأول ١٥١٢ – ١٥٢٠ م،أن ينقل أبرز المهرة الإيرانيين في كافة الصناعات والفنون وذلك لتنشيط الحركة الحضارية في عاصمته استانبول.([٣])

.وقد تم له ذلك بعد فتحه لمدينة تبريز ([٤]) بعد معركة جالديران ١٥١٤ م، وقد دأبوا على ذلك فنقلوا أبرز المهرة من مصر في كافة الصناعات والفنون إلى استانبول، بعد معركة الريدانية ١٥١٧ م.([٥])

الدور البارز للمهاجرين الإيرانيين فى إدارة الدولة العثمانية:

اعتمد العثمانيون على المهاجرين الإيرانيين، في الجانب الإدارى والجانب العلمى حيث اجتمع الكثير من العلماء اللامعين والأدباء من شتى أنحاء العالم، ومجموعة كبيرة من أولئك العلماء قد هاجروا من إيران منذ العهد الصفوي وما بعده، وألّفوا هناك الكثير من الكتب باللغة العربية والفارسية و في إدارة أمور الدولة والمؤسسات.([٦])

([١])إمارة قره مان هي دولة إسلامية نشأت عام ١٢٥٠م جنوبي الأناضول. حكامها من أصول أرمنية حيث أسسها نوري الصوفي الذي اعتنق الإسلام. وتوالى على حكمها سلالته من بعده. http://www.kimkimdir.gen.tr/kimkimdir.php?id=154

([٢])بديع جمعة وأحمد الخولي : مرجع سابق ص ٤٦ – ٤٧.

([٣])عبد الحسين نوائي وآخرون تاريخ روابط فرهنگی ايران، تهران، ٢٥٣٩ ه شهنشاهی، مجير شيباني ، نظام الدين ،تشكيل شاهنشاهى صفوية وأحياء وحدث ملى،تهران ١٣٤٦هـ ، ش ٩٦.

([٤]) *تبريز* هي مدينة تقع في شمال غرب إيران، شمال جبل سهند، وهي عاصمة محافظة آذربيجان الشرقية.ياقوت الحموى،معجم البلدان ١٣/٢.

([٥])ابن إياس: محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ ،بدائع الزهور فى وقائع الدهور ،تحقيق محمد مصطفى ،القاهرة ١٩٨٤م، ٥/ ١٨٢ ، ٢٠٧.

([٦])ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران ٥)القسم الأول):.الناشر:انتشارات ابن سينا،طهران (د.ت).ص٤.

المبحث الأول

هجرات الإيرانيين إلى الدولة العثمانية

الهجرة نتيجة مباشرة للظروف الاجتماعة والسياسية:

أضحت هجرة الإيرانيين إلى الدولة العثمانية نتيجة مباشرة للظروف الاجتماعية والسياسية المضطربة التي شهدتها إيران خلال فترات متعددة من تاريخها. فقد تسببت الصراعات الداخلية، والتوترات السياسية، وحالات انعدام الأمن في دفع العديد من الإيرانيين إلى الهجرة بحثًا عن حياة آمنة. كانت هناك أيضًا ضغوط اقتصادية كبيرة فرضتها كالضرائب العارضة، إضافة إلى المصادرات التي كانت تتم من قبل السلطات، فضلاً عن الاعتداءات المستمرة التي كان يمارسها الجنود على الممتلكات والأرزاق، مما جعل الهجرة خيارًا لا مفر منه للعديد من الأفراد.

كانت الهجرات الإيرانية على مر العصور، تتجه نحو دول مختلفة، لكن الهجرة إلى الدولة العثمانية كانت من أبرز هذه الاتجاهات. ففي الفترات المبكرة من الهجمات العربية إلى الأراضي الإيرانية، اضطر العديد من الفرس للجوء إلى الهند، كما هاجر آخرون إلى آسيا الصغرى، التي تُعرف أيضًا بالأناضول. وتشمل معظم الأراضي التركية ما عدا هضبة أرمينيا في الشرق. وقد كانت هذه المنطقة ملاذًا للكثيرين بسبب ما شهدوه من ظلم في إيران.

تزايد الهجرات الإيرانية إلى الأناضول إثر الفتح العربي لبلاد فارس :

تزايدت الهجرات الإيرانية إلى الأناضول إثر الفتح العربي لبلاد فارس، وما تلاه من معارك دموية بين العلويين والعباسيين. وقد شهدت تلك الفترة مقتل العديد من العلويين، من بينهم الخرّميون الذين عُرفوا بمعارضتهم للسلطة العباسية. ومن خلال هذه الهجرات، تمكن الفكر المانوي من الانتقال إلى الغرب، حيث انتشر بين شعوب الأناضول وما حولها نتيجة هجرة أتباع المانوية إليها. ([1])

([1])بطروشوفسكي، الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، ط ٧، ١٣٦٣ ه . ش، ٤٥، طهران. عبد الحسين زرين كوب، تاريخ مردم إيران ،طهران ،١٣٦٧هـ: ٤٨٧ فما بعدها؛ زرين كوب، تاريخ إيران بعد أز إسلام:الناشر مؤسسة انتشارات امير كبير, ١٩٧٦م ، ٣٧٢.

من أسباب هجرة الإيرانيين نحو آسيا الصغرى قربها الجغرافي من إيران:

أدت عدة عوامل إلى هجرة الإيرانيين نحو آسيا الصغرى، لعلّ أبرزها قربها الجغرافي من إيران، وقلّة عدد سكانها، وخصوبة أراضيها، مما سهّل التنقّل والتواصل. كما أن تلك المناطق كانت خارجة عن سيطرة الدولة البيزنطية منذ الحروب الطويلة التي خاضها الساسانيون مع الروم، وكان يقطنها الأرمن والأكراد، وربما استقر فيها أيضًا بعض الإيرانيين ، ومع انهيار السور الدفاعي البيزنطي الذي هدمه آلب أرسلان في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، تدفقت موجات من المهاجرين إلى آسيا الصغرى من المهاجرين الإيرانيين يرافقهم عدد من السلاجقة الذين لديهم الرغبة فى الهجرة.([1])

انطلق الإيرانيون إلى بلاد الروم على شكل أفواج متتابعة، فمنهم عسكريون وتجار ومدنيون نظرا لتأسيس حكومة تركية هناك بعد فتح ملاذكرد ، مما سهّل حركة الهجرة بين الأتراك والإيرانيين . ([2])

الخراب الذي لحق بإيران، وانعدام الأمن، وصعوبة الحياة فيها:

اضطرّت طبقات متعدّدة من الإيرانيين في إبان غزو المغول إلى مغادرة بلادهم باتجاه آسيا الصغرى غربا. وكانت أسباب هذه الهجرة متعددة، في مقدّمتها الخراب الذي لحق بإيران، وانعدام الأمن، وصعوبة الحياة فيها، إلى جانب وجود جماعات إيرانية سابقة في تلك المناطق ساعدت في تقليل شعور المهاجرين بالغربة، ما شجّع الكثيرين، خصوصًا المتصوفة للرحيل.

كثرة الضرائب وخوف بعض القبائل من هجمات النهب والسلب:

كثرة الضرائب التى أثقلت كواهلهم،وخوف بعض القبائل من هجمات النهب والسلب أدى إلى كثرة المهاجرون من سكان القرى والمدن وفى مقدمتهم الشيوخ والدراويش الذين امتلكوا تأثيرًا شعبيًا كبيرًا،كما شملت أيضًا العلماء والفقهاء ورجال الدين، وقد لجأت فئات أخرى إلى المناطق الحدودية النائية، مثل أتباع الطرق الصوفية، وبعض المهاجرين من المتصدّين السلاجقة، وسكان القرى والمدن الذين أثقلت كواهلهم الضرائب المفروضة،

([1])انظر: إسماعيل حقي أوزون جارشي لي:تاريخ عثماني،ترجمة أبرج نوبخت،تهران ١٣٧٧هـ ، ١: ٣.

([2])عبد الكريم كلشني: فرهنگ إيران در قلمرو تركان: اشعار فارسى نعيم فراشرى، شاعر و نويسنده قرن نوزدهم آلبانى الناشر تجارتخانه گلشنى ١٩٧٥م.ص ٥ -٧.

فضلًا عن القبائل الرحّل التي كانت تخشى هجمات النهب، وكان كل أولئك من بين جموع المهاجرين ، ولم تقتصر هذه الهجرات على عامة الناس، بل شملت أيضًا العلماء والفقهاء ورجال الدين، واستمرت تلك الهجرات باتجاه الدولة العثمانية حتى عهد الملك عباس ([1]).

ترحيل سليم الأول لأصحاب الفنون والمهارات من تبريز إستانبول:

بعد أن انتصر السلطان سليم الأول في معركة جالدران (٢٠ رجب عام ٩٢٠هـ)، قرر ترحيل عدد كبير من أصحاب الفنون والمهارات من تبريز إلى العاصمة العثمانية إستانبول، فقام باختيار نخبة من الشعراء، الرسامين، الكتّاب، الصاغة، نسّاجي السجاد، والصحّافين، وغيرهم من أرباب الحرف، وبلغ عدد هؤلاء – وفقًا لما ورد في بعض الروايات – نحو أربعين ألف شخص، وأرسل معهم كذلك عددًا من كبار التجار وأصحاب النفوذ الذين قُدّرت عائلاتهم بألف، ترافقهم وحدة من الجنود الأتراك، وكان ذلك في ٢٢ رجب سنة ٩٢٠ هـ .ومن بين هذه المجموعات التي لجأت إلى الدولة العثمانية، تميز الخطاطون بمكانة خاصة، ومنهم الشيخ حمد الله المعروف بمهارته الفائقة في خطي الثلث والنسخ، وقد دخل إلى الدولة العثمانية مذهب آخر في فن الخط، وهو خط التعليق، الذي جاء به بعض الخطاطين من أذربيجان الإيرانية إلى إستانبول، وكان من أبرزهم عبد الوحيد المشهدى ، أحد تلامذة سلطان علي، وقد نال هذا الأخير رعاية السلطان سليمان القانوني، وأقام في إستانبول. ([2])

رغبة بعض العلماءفى الهجرة إلى إستانبول بعد تغلّب الصفويين:

كما ضمت قائمة المهاجرين إلى الدولة العثمانية بعض العلماء الذين أصبحوا تحت الحكم العثماني بعد تغلّب الصفويين، من بينهم حسين بن عبد الله الشرواني الذي استقر في مدينة ماردين ([3])وهناك ألّف رسالتين كان هدفهما الرد على طائفة عسكرية وُصفت بأنها منحرفة، تُعرف باسم قزلباش، الأولى بعنوان "رسالة عدلية"، والثانية بعنوان "الأحكام الدينية

([1])انظر: داور دورسون: دين وسياست دولت عثماني: ترجمة: منصورة حسيني، داور وفائي، طهران، وزارت الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٨١هـ ش١٨٧. وانظر إسكندر بيك روملو:تاريخ عالم آراى عباسي، تحقيق : ايرج افشار، ناشر. : امير كبير، طهران سنه. ١٣٨٢. ش: ١٤٥.

([2])نصر الله فلسفي، جنك جالداران: ١١٥، مجله دانشكده آداب، السنة الأولى، العدد الثاني؛ تاريخ إسلام: ٤٢٠. ومناقب هنروران: ٣٩ -٤٠، نقلاً عن: التاريخ العثماني ٢: ٧١٨.

([3])حسين عبدالله شيرواني: الأحكام الدينية في تكفير قزلباش: تحت نظر :رسول جعفريان، قم، ميراث إسلامي إيراني، المكتب الرابع، مكتبة آية الله العظمى مرعشي نجفي، ١٣٧٦هـ ش، ١٤١٧هـ،ص ٧٢٢

في تكفير قزلباش"، وقد وجّه فيهما اتهامات قاسية لهذه الطائفة، لا سيما حكام الدولة الصفوية، ودعا إلى قتالهم باعتبارهم أعداء للدين، مشيرًا إلى تصرفاتهم المهينة تجاه المصاحف – إذ كانوا يحرقونها، أو ينجسونها بالقاذورات، ويطؤونها بأقدامهم – واصفًا إياهم بالكفر والشرك، وصرّح بأن من يقتل أحد أفراد هذه الجماعةفكأنما غزا سبعين من أهل الحرب (١)

إيراني، المكتب الرابع، مكتبة آية الله العظمى مرعشي نجفي، ١٣٧٦هـ ش، ١٤١٧هـ. ص ٧٢٢، ٧٢٥.
(١)المرجع نفسه. حسين عبدالله شيرواني، الأحكام الدينية في تكفير قزلباش ص ٧٢٢، ٧٢٥.

المبحث الثانى

الأبعاد المترتبة عن هجرة الإيرانيين إلى الدولة العثمانية

ترتبت عدة أبعاد نتيجة هجرة الإيرانيين إلى الدولة العثمانية ،يتصدرها البعد الاجتماعى والبعد الثقافى من خلال انتقال مجموعات كبيرة من الإيرانيين إلى مناطق متعددة داخل الدولة العثمانية مؤثرين ومتأثرين حاملين معهم أنماطًا من العادات والتقاليد و الفكر والأدب الإيرانى.

أولا: البعد الاجتماعى لهجرة الإيرانيين إلى الدولة العثمانية :

تأثر المهاجرون الإيرانيون بأمور اجتماعية متعددة مرتبطة بالعادات والتقاليد العثمانية ، ومن أبرزها ثقافة "الفتيان" و"الدراويش". وهى الطبقة الدنيا والمحرومة من المجتمع الإيراني، ولما استقروا فى كنف العثمانيين كان العديد منهم يعيشون في البلاط العثماني. في آسيا الصغرى، وأُطلق على هؤلاء الفتيان أو النابهين اسم "أخي ها" أي الإخوة، في إشارة إلى امتداد أصولهم الإيرانية الكامنة في تكوينهم. ومع مرور الوقت، تداخل البعد الاجتماعى متضامنا مع البعد الثقافى ،فتداخلت حركة الفتيان مع التصوف، وظهرت فصول خاصة تحمل بعدا ثقافيا جديدا في كتب الصوفية تتناول قواعد الفتوة، مدعومة بالعديد من الحكايات المرتبطة بها. أمّا ثقافة الدراويش، الذين عُرفوا باسم"الجواليق"، أي أصحاب الثياب البالية فى البيئة العثمانية ذات الأصل الإيرانى ، والمرتدين لزي الإيرانيين والكهنة الزرادشتيين ، والمتأثرين بعناصر الثقافة العثمانية ([1])

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة الإيرانيين كثرة الأسماء ذات الطابع الفارسى:

أضحى البعد الاجتماعى للهجرة الإيرانية يظهر في بعض الرسائل والمصادر من كثرة أسماء الأماكن التي ما تزال تحمل طابعًا فارسيًا، وقد وردت بجوارها أسماء موغلة في القدم تعود لحضارات قديمة مثل الحيثيين واليونانيين، منها إسطنبول، الأناضول، بركام، بالإضافة إلى أسماء فارسية خالصة مثل: نيكده، آب بند، آب گرم، بندماهي، وچشمه

([1])خطيب شيرازي: قلندرنامه: تصحيح: حميد زرين كوب، طهران، انتشارات طوس، ١٩٦٢.م،ص ١٥.

وغيرها من الأسماء.([١])

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة الإيرانيين استعمال العديد من الألقاب الفارسية:

كما تظهر جليا مظاهر البعد الاجتماعى لهذه الهجرة الإيرانية أن العديد من ألقاب رجال الدولة العثمانية كانوا من أصول إيرانية، مثل: الوزير، الحاجب، المنشي، المستوفي، القاضي، الواعظ، والمدرّس، وكان كل واحد منهم يُنسب إلى مدينة إيرانية ويحمل لقبها ، فنجد بينهم من يُعرف بالإصفهاني، أو التبريزي، أو الخراساني، أو الرازي، أو القزويني، أو الهمداني، أو النخجواني، أو الخوئي، أو المرندي...ولايخفى تجلى البعد الثقافى الإيرانى فى الدولة العثمانية المتمثل فى بقاء بصمات المعماريين الإيرانيين البارزة على كثير من الأبنية التاريخية القديمة،ولا تزال آثار الإيرانيين حاضرة فيها بوضوح، ويُقرأ على جدار أبهى مساجدها، مسجد سبز، العبارة التالية: "عمل أستادان تبريزي"، كما نُقشت على المحراب في أحد المساجد الأخرى عبارة: "عمل أستاد محمد أصفهاني" حينما كانت (بورسا)هي العاصمة. ([٢])

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة الإيرانيين شعورهم بالأمان وعدم الغربة:

أصبح البعد الاجتماعى أكثر ظهورا بهذه الهجرات نتيجة تزايد رغبة الإيرانيين في الانتقال إلى الأراضي العثمانية، نتيجة شعورهم بالأمان وعدم الغربة، خاصة جماعات المتصوفة، حيث ساهمت عوامل عديدة في جذبهم، من أهمها إعفاؤهم من الضرائب، وحمايتهم من الغارات، وتأمين ماشيتهم وممتلكاتهم. وأسهم هذا الوضع في استمرار نفوذ الشيوخ والدراويش، لما لهم من مكانة ونفوذ فى الوسط الاجتماعى. ([٣])

ويظهر الأثر الاجتماعي جليًا أيضًا في انتقال عدد كبير من الإيرانيين ذوي الحرف والمهارات، والذين نقلوا معهم تجاربهم ومهاراتهم المتنوعة من المجتمع الإيراني إلى المجتمع العثماني، مثل الشعراء، والرسّامين، والكُتّاب، والصيّاغ، وحائكي السجاد،

([١])محمد أمين رياحي: زبان وأدب فارسي در قلمرو عثماني ، نوشته دكتر محمدأمين رياحى، تهران، ١٣٦٩ ه. ش ١٠.

([٢])محمد أمين رياحي، المصدر السابق:ص ١٢.

([٣])انظر: داور دورسون، دين وسياست دولت عثماني: ترجمة: منصورة حسيني، داور وفائي، طهران، وزارت الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٨١هـ ش.ص ١٨٧.

والصحّافين، وغيرهم، وقد بلغ عددهم – وفقًا لاختلاف الروايات – أربعين ألفًا. ([1])

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة الإيرانيين التشابه بين المأكولات الإيرانية والعثمانية:

أضحى البعد الاجتماعى أكثر وضوحا لا سيما في العادات الغذائية، إذ ظهرت أوجه الشبه المتعددة بين المأكولات الإيرانية والعثمانية، فنجد إبداع العثمانيين في صناعة حلوى "الباقلاوا"، وقد تأثر بها الإيرانيون أثناء هجرتهم، وهم يطلقون على صنف شبيه بالبقلاوا اسم "بزلماج". ([2])،ومن الأطعمة المتداولة أيضًا طبق "البورق" (بورك). ([3]) ويتكون من رقائق عجين محشوة باللحم ومطهوة باللبن، وهو معروف كذلك في مدينة حلب بالاسم نفسه. وهناك "السنبوسة"، وهي مثلثة الشكل ومحشوة باللحم، وتُطهى إما في الزيت أو تُخبز، وتُعرف في بلاد الشام باسم "سنبوسك" . وستيومه: كلمة فارسية تعني الزاوية، وسنبوسك هي تصغير سنيومة.أما "دولمه كلم" فهو ملفوف من أوراق الكرنب المحشوة بالأرز واللحم، وهو شائع لدى العثمانيين، في حين لم يكن منتشرًا بين الإيرانيين. ويضاف إلى ذلك طبق "آش رشته". أما آش رشته مصطلح فارسي يعني الحساء المكوّن من اللحم والبقول والخضار، والمعروف في بلاد الشام باسم "رِشتة". ولا يمكن إغفال "الهريسة"، التي تُعدّ من الأطعمة القديمة، وتتكون من القمح المطهو مع اللحم، وهي أيضًا معروفة وهى من الأطعمة العربية القديمة المعروفة فى بلاد الشام . ([4])

من مظاهر البعد الاجتماعى للهجرة التأثر بعادات الزى العثمانى والإيرانى:

ومن البعد الاجتماعى وجود التشابه بين الطرفين في الأزياء، خاصة في ملابس الإيرانيين الذين استقروا في الدولة العثمانية، حيث تأثروا بعادات اللباس العثماني، فنلاحظ استخدامهم لمصطلحات ذات أصل فارسي، مثل "كمر دستمال"، وهي جزء من الزي العثماني، بالإضافة إلى تقارب واضح في تصميم السراويل والقمصان، بل وحتى في ما

([1])نصر الله فلسفي، جنك جالداران:ص ١١٥، مجله دانشكده آداب، السنة الأولى، العدد الثاني؛ تاريخ إسلام: ٤٢٠.
([2])باقلاوا كلمة تركية تطلق على نوع من الحلويات (محمد علي الألوسي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات ،بيروت ١٣١٨ هـ وهو قاموس (عثماني - عربي) .، ص ١٠٤.
([3])بورك كلمة تركية تعني الرقائق والفطائر (محمد على الألوسي المرجع السابق، ص ١٢٠.
([4])نور الله شير باشي مادة الحياة مخطوط كتابخانه مركزى دانشگاه تهران شماره٢/ ٥٩١ ص٤٩٦ ١٥٨ ٤٦٣ ٤٦٨ ٤٧٠.

يخص الأزياء الخارجية، إذ كان الرجال يحلقون رؤوسهم ويضعون عليها عمائم. ([1])

أما ملابس النساء العثمانيات، فقد تميزت بسراويل طويلة تصل إلى الكاحلين، تصنع من أقمشة متنوعة، أبرزها الدامسكو الفاخر المنسوب إلى دمشق، ويرتدين فوقه الصدار، وهو رداء حريري لدى النساء الموسرات، وعادي الخامة لدى غيرهن، بأكمام قصيرة وواسعة يُغلق بزر عند الرقبة. وغالبًا ما كانت النساء تغطين رؤوسهن بطاقيات تعلوها قطعة قماش تُعرف بـ"اليشمق" ([2])تستخدمه النساء عند الخروج من المنزل ([3])،وفي المقابل، عُرفت ملابس النساء الإيرانيات بألوانها الزاهية، وكانت تتكون من سراويل طويلة وقمصان ملونة متعددة الطبقات، وتحرص المرأة الإيرانية على تغطية رأسها بقطعة كبيرة من القماش تصل إلى الأرض، وترتديها عند مغادرتها المنزل.

فمن الملاحظ وجود تقاطع واضح بين أزياء النساء في الدولتين، لا سيما في السراويل الطويلة والقمصان أو الصدارات، إلى جانب تغطية الرأس عند الخروج، مما يدل على تأثر متبادل بين الثقافتين.

من مظاهر البعد الاجتماعى للهجرة التشابه فى الممارسات والاحتفالات الاجتماعية:

أما فيما يتعلق بالممارسات الاجتماعية والاحتفالات، فقد اتسمت بدرجة كبيرة من التشابه، خصوصًا في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى، نتيجة لوحدة الانتماء الديني الإسلامي رغم اختلاف المذاهب. لكن ما يُميز الدولة الصفوية هو اهتمامها الخاص بإحياء المناسبات المرتبطة بمذهبها الشيعي، مثل الاحتفال بمواليد الأئمة الاثني عشر، كذكرى مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما خاصة فى الأيام العشرة الأولى من شهر محرم. ([4])

ثانيا: البعد الثقافى لهجرة الإيرانيين إلى الدولة العثمانية :

وأما ما يتعلق بالبعد الثقافى والفكرى فالتفاعل بين الشعبين يعد من أبرز ملامح العلاقة بين الصفويين والعثمانيين، فقد تعذرت كل محاولات الفصل بين مجتمعي الدولتين بفعل

([1])القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١هـ: صبح الأعشى ، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ج ٤ ص ٤٠.

([2])يشمل النقاب ،محمد علي الألوسي مرجع سابق ص ٥٤٠.

([3])اندري كلو :سليمان القانونى،دار الجيل بيروت ١٩٩١م، ص ٢٥٣.

([4])محمد علي الألوسي مرجع سابق ص ٥٤٠.و اندري كلو :سليمان القانونى،ص٢٥٣.

التشابه العميق في البنية الإثنية، إذ تشترك معظم المكونات القومية في الانتماء الإسلامي، وإن اختلفت مذاهبها.

كما أن العنصر التركي، الذي مثّل القاعدة الأساسية لقيام الدولتين، ساهم في تعزيز هذا التقارب، وهو ما يُعرف في علم الاجتماع برابطة "الأصل المشترك" أو "الدم المشترك".

من مظاهر البعد الثقافى لهجرة الإيرانيين إلى الدولة العثمانية وحدة اللغة لحكام الدولتين :

تعتبر وحدة اللغة بين المكونات الإثنية المشتركة في ولائها للدولتين، حيث كانت التركية هي اللغة الرسمية لحكام الدولتين، مما أوجد رابطًا لغويًا إضافيًا يُعرف برابطة "اللغة الموحدة". كما أدّت العربية، ومعها الفارسية، دورًا مركزيًا كوسيلتين للثقافة العليا في كلا الجانبين، وهو ما جعل التفاعل الحضاري بين الصفويين والعثمانيين مسارًا لا مناص منه.وقد لعب العامل اللغوي دورًا بارزًا في دفع هذا التفاعل ، حيث أثرت اللغات الثلاث المهيمنة – العربية والفارسية والتركية – بعضها في بعض، في عملية تبادلية لم تخلُ من التأثير والتأثر. فقد تركت العربية بصمتها على اللغتين الفارسية والتركية، كما تأثرت بهما، في حين انعكست الفارسية على اللغة التركية وأثّرت بدورها في العثمانيين، كما فعلت التركية مع الفارسية والصفويين.

من مظاهر البعد الثقافى هجرة العائلات المثقفة وأهل العلم من إيران إلى الأناضول:

وكذلك على صعيد البعد الثقافي، فقد ساهمت هجرة العائلات المثقفة وأهل العلم من إيران إلى الأناضول في تقوية أواصر العلاقات بين الشعبين، وأسهمت في نشر المعارف وفتح آفاق جديدة للفكر الإسلامي في القرنين السادس عشروالسابع عشر الميلاديين، حيث ظهر عدد من كبار المفكرين الذين أثروا الحركة الفكرية الإسلامية بإسهامات فلسفية عميقة، تجاوز أثرها حدود الشرق الإسلامي.([1])

ومن هؤلاء: الفيلسوف محمد بن أسعد، المعروف بالعلامة الدواني (ت ٩١٨هـ)الذي وُلد في كازرون وتولى القضاء في شيراز، ونال شهرة واسعة في الحكمة والفلسفة ولقب بشيخ

([1])مريم مير أحمدي دين و دولت در عصر صفري،تهران ١٣٦٩هـ .ش ٧٤

المشرق. ([1])

ويليه فُضيلات الدين منصور (ت ٩٤٨هـ/١٥٤١م)، المعروف بغياث الحكماء، الذي خاض مناظرات فكرية مع الدواني([2])وتولى منصب شيخ الإسلام في عهد الشاه طهماسب الأول، ثم اعتزل المنصب وتفرغ للتدريس في مدرسة المنصورية الشهيرة في شيراز .

ويأتي بعدهما صدر الدين الشيرازي، المعروف بملا صدرا (ت ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)، أحد أعظم فلاسفة المسلمين في القرن الحادي عشر الهجري، الذي أمضى معظم حياته في شيراز،ويأتي بعدهما صدر الدين الشيرازي، المعروف بملا صدرا (ت ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)، أحد أعظم فلاسفة المسلمين في القرن الحادي عشر الهجري، الذي أمضى معظم حياته في شيراز، ثم انتقل إلى البصرة حيث توفي. ([3])

أما محمد مرتضى الكاشاني (ت ١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، فكان من أبرز تلاميذ ملا صدرا، وتزوج ابنته، وقد اشتغل بالفلسفة وكان له أثر بارز في نقل أفكار أستاذه وتطويرها ([4])

من مظاهر البعد الثقافى نشر اللغة الفارسية والثقافة الإيرانية في الأناضول:

كما تعد هجرة العائلات الإيرانية المعروفة بالعلم والفضل من العوامل المهمة في نشر اللغة الفارسية والثقافة الإيرانية في الأناضول، مثل: بهاء الدين والد جلال الدين الرومي، ونجم الدين الرازي، وأوحد الدين الكرماني، وفخر الدين العراقي، وسراج الدين الأرموي، وسيف الدين الفرغاني، الذين وجدوا في البيئة العلمية السائدة آنذاك مجالًا رحبًا للإبداع في العرفان والأدب والتأليف. وقد ساهمت مؤلفاتهم، مثل "المثنوي المعنوي"، وانتشار الطريقة المولوية، في توسيع نفوذ اللغة والثقافة الفارسية في تلك الديار. ([5])

كما كان للغة العربية حضور لافت في الحياة الثقافية الصفوية، حيث أثّرت في الفارسية تأثيرًا كبيرًا امتد إلى مفردات الدين والسياسة والأدب، بل وحتى الحياة اليومية، ما انعكس

([1])ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت ١٩٧١، ج٨ ص ١٦٠.

([2])إسكندر بيك روملو: تاريخ عالم آراى عباسي، تحقيق. : أبرج افشار، تهران سنه. ١٣٨٢. هـ.، ج ١ ص١٤٤

([3])قيس آل قيس الإيرانيون والأدب العربي، تهران ١٩٨٦، ج ٣ ص ٢٣٦ خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين (د.ت) ٨/ ٢٤٤.

([4])مريم مير أحمدي: دين و دولت در عصر صفوى، ص ١١ .

([5])أردشير إسترآبادي عزيزي، بزم و رزم، تحت نظر: محمد فؤاد كوبرلي زاده، إسطنبول، ١٩٢٨، نقلاً عن: مهدي درخشان، المصدر نفسه: ١٠١ ـ ١٠٢.

في امتلاء المعاجم الفارسية بالألفاظ العربية .([1])

من مظاهر البعد الثقافى إثراء التبادل الفكري واللغوي بين شعبي الدولتين :

لقد ساهم التفاعل الثقافي بين الإيرانيين والعثمانيين في إثراء التبادل الفكري واللغوي بين شعبي الدولتين، حيث ازداد تأثير اللغة الفارسية على الثقافة العثمانية خلال القرون الماضية، لدرجة أن اللغة الفارسية أصبحت جزءًا أساسيًا من الحياة الفكرية والفنية في البلاط العثماني. فبالإضافة إلى كون الفارسية كانت لغة الأدب والشعر، فقد كانت لغة العلوم والتربية، حيث أقبل العثمانيون على تعلم اللغة الفارسية ودراستها كجزء من تعلمهم لأدب وفكر العصر. وهذا التفاعل الثقافي العميق بين الدولتين كان له تأثير بالغ على العديد من جوانب الحياة في الإمبراطورية العثمانية، من الأدب والفلسفة إلى المعمار والفن، كان للغة الفارسية أيضًا تأثير واضح على الشعر العثماني،حيث تأثر الشعراء العثمانيون بالكثير من أساليب وأوزان الشعر الفارسي، حتى أصبحت الفارسية تشكل جزءًا أساسيًا من لغة الشعر في الأدب العثماني. هذا التأثر كان يظهر بوضوح في العديد من القصائد التي امتزجت فيها المفردات الفارسية مع التركية،

مما جعل الأدب العثماني في هذا العصر يكتسب طابعًا فريدًا يعكس التفاعل بين الثقافتين. ([2])

من مظاهر البعد الثقافى اندماج العديد من المفردات الفارسية في اللغة التركية:

وبالرغم من أن اللغة العربية كانت أيضًا لغة هامة في العصر العثماني، فإن الفارسية قد أثرت بشكل غير مسبوق في اللغة التركية في تلك الفترة. فقد اندمجت العديد من المفردات الفارسية في التركي العثماني، سواء في مجالات الثقافة، والدين، والعلوم، حيث استعار العثمانيون العديد من الكلمات الفارسية لتعزيز اللغة التركية وتعميقها من حيث المعنى والمفهوم. وكانت هذه المفردات الفارسية تعكس تأثر العثمانيين بالفكر

([1])انظر على سبيل المثال فرهنگ فارسى عميد، تاليف حسن عميد تهران ١٣٦٤ هـ ش، وهو قاموس فارسي - فارسي، يشتمل على معظم المفردات الفارسية والعربية المتأصلة في اللغة الفارسية.

([2])أمينة بيطار تاريخ العصر العباسي، دمشق، ١٩٨١، ص ٥٧. و انظر على سبيل المثال الدراري اللامعات في منتخبات اللغات تأليف محمد علي الألوسي، بيروت ١٣١٨ هـ وهو قاموس (عثماني - عربي) يشتمل على معظم المفردات العثمانية.

الفارسي، وخاصة في مجالات الفلسفةالصوفية والعرفانية. (١)

التبادل الفكري بين الإيرانيين والعثمانيين فى العديد من المفاهيم الثقافية والفكرية:

امتد التبادل الفكري بين الإيرانيين والعثمانيين ليشمل العديد من المفاهيم الثقافية والفكرية التي تأثرت بها كلتا الحضارتين. فمثلاً، اهتمت الدولة العثمانية بالفلسفة الإشراقية الفارسية وأدخلتها في سياقاتها الفكرية، وكان لهذا التأثير دور كبير في تشكيل أفكار العديد من المفكرين العثمانيين الذين أضافوا إلى التراث الفكري الإسلامي بسبب التفاعل مع الفلسفة الفارسية.

إن اهتمام السلاطين العثمانيين بالآداب بشكل عام يعود إلى استقرار دولتهم التي ضمت قوميات متنوعة ومتفاوتة في البداوة والحضارة. ومن أبرز السلاطين العثمانيين الذين كانوا يتقنون اللغة الفارسية إلى جانب غيرها من اللغات كان السلطان محمد الثاني، الذي كان يتقن الفارسية والعربية والرومية .(٢)

وكذلك كان السلطان سليم الأول يتقن اللغة الفارسية بل وكان ينظم الشعر بها، وكان له ديوان شعر فارسي تخلص فيه بلفظ "إسليمي" (٣)الذي يتضمن ألفي بيت من الشعر، وعلى الرغم من إجادته لعدة لغات، فقد أشار مؤرخو الأدب إلى أنه لم يصدر عنه سوى بيت شعر واحد باللغة التركية. (٤)

أما السلطان سليمان القانوني، فقد كان هو الآخر يتقن اللغة الفارسية وله منظومات شعرية تخلص فيها بلفظ "المحبي" وقد جُمعت هذه المنظومات في ديوان يعتبره نقاد الأدب فريداً في دنيا الأدب. كان اهتمامه بالشعر والشعراء قد جعل الأدب في عصره يصل إلى مكانة لم يسبق لها مثيل. (٥)

وفي السياق ذاته، يذكر السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ – ١٥٩٥م) كأحد السلاطين الذين

---

(١)انظر على سبيل المثال شمس الدين سامي المعجم التركي التوالي، انسان، ١٩٨٩، وهو قاموس (تركي - تركي) بالحروف العربية، مصور عن نسخة تعود إلى سنة ١٨٩٠ م.

(٢)إسماعيل أحمد ياقي: دولت عثماني أز اقتدار تا انحلال: ٢٨، ترجمة: رسول جعفريان، قم، مركز الحوزة والجامعة، ١٣٧٩.هـ ص ١٩ محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة،دار القلم بيروت ١٩٩٩م ص ٢٤٧.

(٣)التخلص هو رمز الشاعر فى قصائده وهو أسلوب من أساليب الشعر الفارسي، حيث كان الشاعر كثيراً ما يورد اسمه أو لقبه في بيت من أبيات القصيدة، ليدل على حكمة أو حالة خاصة (حسن عميد: فرهنگ فارسى عميد، تهران ١٣٦٤ هـ ش، ١/ ٥٥١.

(٤)سعيد عيسى تاريخ علم وتر اور ايران ومن زيك فارسى نمايان قرن دهم هي، تهران ١٣١٣ هـ ش،ج ص ٤٨١.

(٥)المرجع السابق ص٤٨١.

كانوا يتقنون اللغة الفارسية، بالإضافة إلى اهتمامه العميق بالآداب والعلوم في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. وله شعر باللغات الثلاث التركية والفارسية والعربية .([1])

من مظاهر البعد الثقافى اهتمام السلاطين والعلماء العثمانيين المتزايد بالآداب التركية:

إن من الأثر البارز لهجرة الإيرانيين بثقافتهم وفكرهم إلى الدولة العثمانية هو اهتمام السلاطين العثمانيين المتزايد بالآداب التركية. ففي عهد السلطان محمد الثاني (١٤٥١ – ١٤٨١م) بدأت رعاية الآداب التركية بشكل جاد، حيث تم نقل العديد من كتب الأدب والنحو والفقه من الفارسية إلى التركية. ونتيجة لهذا النقل، استطاع الشعراء أن يجددوا أسلوبهم الأدبي بالاستعانة بالأشكال الفارسية، مما أثمر عن لغة جميلة معبرة وعميقة تحمل بصمات من الفارسية، لكنها لا تمس بنية اللغة التركية أو نحوها. ([2])

وقد ساهمت هذه الحركة الأدبية في تطور الأدب التركي، خصوصاً من خلال تناول مواضيع مقتبسة عن الأدبين العربي والفارسي. وكان تأثير الشعر الفارسي بالغ الأثر في هذا المجال، عندما نشطت حركة الترجمة التي نقلت الكثير من الأعمال الفارسية إلى التركية. ([3])

وفيما يتعلق بالبعد الثقافى لهجرة الإيرانيين إلى المجتمع العثماني، فقد ظهر بعض العلماء البارزين مثل حسين بن عبد الله الشرواني، المقيم في مدينة ماردين قبل الهجرة، وكان له دور كبير في مواجهة فئة اجتماعية ضالة من القطاع العسكري. فقد أوجب على المسلمين جهاد الصفويين، وكتب عن طائفة قزلباش الذين كانوا يهينون المصاحف ويحرقونها، واصفاً إياهم بالكفار والمشركين. وقال عنهم إن من قتل أحد هؤلاء المشركين فكأنما قتل سبعين من أهل الحرب. ([4])

من مظاهر البعد الثقافى اهتمام العلماءالعثمانيين بما نقلوه عن اللغة الفارسية:

ومن جهة أخرى، كان لبعض العلماء والأدباء العثمانيين دور فعّال في إغناء الفكر العثماني من خلال ما نقلوه عن اللغة الفارسية، إضافة إلى ما ألفوه في لغتهم الأم

([1])إسماعيل أحمد يافي المرجع السابق ص ١٩ .

([2]) فتح الله مجتبائي، مادة حسن بن يتقي الأهي: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى تهران، ١٩٩١.م ج ٥ص ١٣٤.

([3])اندري كلو المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٣٥ ، كوبريلي مادة ترك دائرة المعارف الإسلامية، ج ٥ص ١٣٢.

([4])حسين عبدالله شيرواني، الأحكام الدينية في تكفير قزلباش: تحت نظر :رسول جعفريان، قم، ميراث إسلامي إيراني، المكتب الرابع، مكتبة آية الله العظمى مرعشي نجفي، ١٣٧٦هـ ش، ١٤١٧هـ،ص ٧٢٢، ٧٢٥، ٧٢٨.

العثمانية. ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر، مصلح الدين مصطفى بن شعبان سروري، الذي قام بترجمة ديوان "مثنوي معنوي" لجلال الدين الرومي إلى اللغة التركية، كما تولى تربية مصطفى بن السلطان سليم الثاني. ([1])

لقد كان لعلماء وأدباء الدولة العثمانية دور كبير في إثراء الفكر العثماني، خاصة من خلال نقل المعارف عن اللغة الفارسية، التي ساهمت بدور مؤثر في تطوير الأدب التركي. من بين هؤلاء العلماء كان مصلح الدين مصطفى بن شعبان سروري، الذي نقل إلى اللغة التركية ديوان "مثنوي معنوي" لجلال الدين الرومي، كما تولى تربية مصطفى بن السلطان سليم الثاني .([2])

. كما يبرز اسم صفي الدين بن مصطفى الرومي الذي نقل عن الفارسية العديد من الملاحم، وأتقن النظم بكل من الفارسية والتركية ([3])،أما حسين بن حسن بن عمر الحلبي، الذي كان يتقن الفارسية والتركية، فقد نقل إلى العربية جزءًا من "منطق الطير" للفريد الدين العطار ([4])ولا ننسى حسين بن بنلي الآهي، الذي كان مدرسًا في مدرسة ملم بورصة، ونظم شعرًا تقليديًا على غرار قصة "كيخسرو وشيرين" الفارسية ([5])وكذلك آذر جلبي الذي نظم "نقش خيال" نقلاً عن "مخزن الأسرار" للنظامي الكنجوي،فتح الله مجتبائي، مادة حسن بن يتقي الآهي:

من مظاهر البعد الثقافى التأثير الواضح لهجرة الخطاطين من إيران إلى استنبول:

إلى جانب الدور الفعّال في إغناء الفكر العثماني من خلال ما نقلوه عن اللغة الفارسية وتأثير الأدباء والعلماء، كانت هجرة الخطاطين من إيران إلى الدولة العثمانية بمثابة إضافة مهمة وتأثير واضح ، على سبيل المثال، كان الشيخ حمد الله بارعًا في خط الثلث والنسخ، بينما جلب الخطاطون من آذربيجان إيران إلى إسطنبول مذهب "خط التعليق". ومن بين هؤلاء الخطاطين كان عبد الوحيد المشهدي، أحد تلاميذ سلطان علي، الذي نال رعاية

([1])عبدالله ناصري طاهري يمليك شهر آفتاب و جلب شهر ستارگان، تهران، ١٣٦٦ هـ ش، ص ١٢٧ -١٢٨

([2]) عبدالله ناصري طاهري يمليك شهر آفتاب و جلب شهر ستارگان، تهران، ١٣٦٦ هـ ش، ص ١٢٧ -١٢٨

([3])فتح الله مجتبائي، مادة حسن بن يتقي الأهي: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى تهران، ١٩٩١ - ج) ص ٧١٦.

([4])عبدالله ناصري طاهري يمليك شهر آفتاب و جلب شهر ستارگان، تهران، ١٣٦٦ هـ ش، ص ١٢٧ -١٢٨

([5])فتح الله مجتبائي، مادة حسن بن يتقي الأهي: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى تهران، ١٩٩١ - ج) ص ٧١٦.

السلطان سليمان القانوني وظل في إسطنبول . ([1])

وفي مجمل القول، يُمكن القول إن الثقافة العثمانية تأثرت بشكل كبير بالثقافة الفارسية، وهو تأثير تعدى

الشكل إلى المضمون. حيث ألهم الأدب الفارسي الأدباء العثمانيين الذين تأثروا بالقيم الأخلاقية الفارسية، فكانوا ينظرون إلى الشخصيات الإيرانية باعتبارها مثالًا يحتذى به، مما انعكس في أعمالهم الأدبية وفي سلوكهم الثقافي.

([1])مصطفى عالى افندى فرزند خواجه احمد بن عبدالله نامى :مناقب هنروران، ترجمة توفيق سبحانى،نشر كويا ،سال انتشار شمسى١٣٩٩هـ: ٣٩ ـ ٤٠.

المبحث الثالث

هجرة العثمانيين إلى إيران

في فترة مبكرة من التاريخ العثماني، وقبل نشأة الدولة الصفوية بقرابة قرن من الزمان، بدأت هجرة واسعة النطاق كانت ذات أثر بالغ في تشكيل البنية الأولى لجيش القزلباش، وتعتبر الهجرة التى تمت على يد التيموريين الخطوة الأولى نحو انتقال جماعي لأتراك الأناضول إلى الأراضي الإيرانية، خاصة إلى أردبيل، التي كانت مقر مشيخة الأسرة الصفوية في عهد شيخها علاء الدين علي (١٣٩٢ – ١٤٢٨م). وتشير الروايات التاريخية إلى أن تيمورلنك، بعد معركة أنقرة عام ١٤٠٢م، أهدى الشيخ علي نحو ثلاثين ألف أسير من الأتراك، وهو ما يمثل واحدة من أكبر موجات الهجرة المنظمة في تلك الحقبة .([1])

العلاقة بين العثمانيين والإيرانيين عكست مستوى عميقًا من التفاعل الاجتماعي والثقافي:

اتسمت العلاقة بين الأتراك والصفويين بتقلبات بين الحرب والسلم، عكست مستوى عميقًا من التفاعل الاجتماعي والثقافي، زادت حدّته نتيجة التقاطعات العرقية بين شعوب الدولتين. فقد ضمت الدولة العثمانية خليطًا إثنيًا واسعًا شمل الأتراك، والعرب، والأكراد، والأرمن، والگرج، وسكان البلقان، فيما احتضنت الدولة الصفوية مكونات مشابهة مثل الأتراك، والفرس، والعرب، والأكراد، والأفغان، والأوزبك، والبلوج، والأرمن، والكرج، وهو ما أسّس لتقارب ثقافي واضح بين الجانبين العثمانى والصفوى.([2])

وتظهر أوجه القرابة بين مكوّنات المجتمعين التركى والصفوي في الجذور المشتركة التي تعود إلى أواسط آسيا، الموطن الأصلي للأتراك، كذلك يتشابه عرب جنوب الأناضول مع عرب شمال العراق وبلاد الشام، وأكراد إيران مع أكراد العراق والأناضول، وهو ما أرسى قواعد تواصل ثقافي واجتماعي متين. ويضاف إلى ذلك وحدة الدين الإسلامي التي جمعت هذه الشعوب، إلى جانب اللغة العربية، التي كانت وسيلة لفهم القرآن وأحكام الشريعة. وقد

([1])باستاني باريزي:، إبراهيم:سياست واقتصاد عصر صفوى،تهران ١٣٦٧هـ،ش. ص ١٣.
([2])قطب الدين النهرواني ،محمد بن أحمد ت ٩٩٠هـ: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،بيروت ١٩٦٤م ص ٢٦٠.

تعدّى هذا التفاعل الإطار الديني ليشمل ميادين الإدارة، والاقتصاد، والثقافة، والفنون، مما شكّل حالة من التمازج الحضاري المتكامل ([1])

أضحت إيران ملاذًا لعدد كبير من الأتراك الذين فرّوا من ظلم الدولة العثمانية:

وفي ظل صعود الدولة الصفوية التي تبنّت المذهب الشيعي، أصبحت إيران ملاذًا لعدد كبير من الأتراك الذين فرّوا من ظلم الدولة العثمانية، خصوصًا في المناطق التي يسكنها العلويون. فقد تسببت السياسات القمعية في جعل مناطق كاملة من الأناضول خاوية على المستوى الاقتصادي والعسكري، نتيجة الظلم وانعدام العدالة، الأمر الذي دفع بعض أهل السنة إلى الاصطفاف مع الشيعة في مواجهة الحكم العثماني، وكان من نتائج هذا الوضع المضطرب هجرة جماعية إلى إيران، بحثًا عن بيئة أكثر عدلًا واستقرارًا ([2])

هجرة عدد كبير من المقاتلين الأتراك وقادة العشائر العثمانية إلى إيران:

بسبب القمع توجه عدد كبير من المقاتلين الأتراك وقادة العشائر العثمانية، الذين كانوا يعانون من القمع في أراضيهم، إلى إيران. من بين هؤلاء المهاجرين كانت مجموعة من رجال الدين الشيعة الذين تعرضوا لاضطهاد شديد على يد السلاطين العثمانيين، الذين ارتكبوا مجازر ضد الشيعة، واعتبروهم في حكم الملاحدة. كما تم تصنيف الصوفية باعتبارهم أهل ضلال. هذه الأوضاع دفعت العديد من هذه الفئات إلى الهجرة بحثًا عن ملاذ آمن خارج سيطرة الدولة العثمانية ([3])

بالمثل فعل تركمان قبيلة تكة لو الذين كانوا يعيشون في إمارة تكة الواقعة جنوب الأناضول. تصاعدت موجات الهجرة بعد أن بدأت السلطنة العثمانية بملاحقة "شاه قولي" وأتباعه في تلك المناطق، مما دفع نحو خمسة عشر ألفًا من أفراد القبيلة للفرار إلى إيران هروبًا من بطش الجنود العثمانيين. وعندما اكتشف السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ – ١٥١٢م) ذلك، قرر هجرة ما تبقى منهم إلى صورة لمنعهم من الانضمام إلى صفوف الشاه إسماعيل الأول (١٥٠١ – ١٥٢٤م)، الذي كانوا يظهرون ولاءهم له. وعندما علم

([1])عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ،طبعة دار النفائس بيروت ١٩٩٩ص٢٢٣.

([2])فاروق سومر، نقش تركان آناضولي در تشكيل و توسعه دولت صفوي: ٢ (مقدمة)، ترجمة: إحسان إشرافي، محمد تقي إمامي، تهران، نشر گسترده، ١٣٧١.

([3])إسكندر بيك روملو، تاريخ عالم آراى عباسي: ١٤٥. قطب الدين النهروائي: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٢٦٠.

الشاه إسماعيل بهذه التدابير، أرسل رسالة إلى السلطان بايزيد يطلب فيها السماح لمعتنقيه ومؤيديه بالالتحاق به، لكنه لم يحظَ بأي استجابة من السلطان. ([1])

من بين التركمان الأناضوليين الذين هاجروا إلى إيران وكانوا أعدادا كبيرة من قبيلتي "استاجلو" و"القادر". هاتان القبيلتان تركتا ديارها في منطقة ديار بكر وانضمتا إلى الصفويين بعد مقتل الشيخ سلطان حيدر (١٤٦٠ – ١٤٨٨م)، والد الشاه إسماعيل الأول. كما فعل رجال قبيلة "ورساق" الذين هجروا أماكنهم في قرية مان والتحقوا بالصفويين لمساعدة الشاه إسماعيل الأول خلال فترة إقامته في أذربيجان. ([2])

إيران معقل العثمانيين الفارين من قمع السلاطين العثمانيين:

نتيجة قمع السلاطين العثمانيين لأبناء شعبهم أصبحت إيران معقلا للمهاجرين ففي آخر سنوات حكم السلطان بايزيد الثاني، حاول الشيعة القيام بثورة ضد سلطته، لكن السلطان سليم قمعهم بقوة. اتبع سليم سياسة قمعية ضد الشيعة في الدولة العثمانية، مما دفع العديد منهم للفرار إلى المناطق الأخرى خارج الدولة العثمانية بحثًا عن الأمان ([3]).

الدور غير المباشر للإيرانيين في دفع العديد من العثمانيين إلى الهجرة إلى إيران:

إلى جانب ذلك، كان هناك دور غير مباشر للإيرانيين في دفع العديد من العثمانيين إلى الهجرة إلى إيران. فقد هاجر الشيخ جنيد من إيران إلى الأناضول وقضى فترة من الزمن هناك، حيث جمع حوله مجموعة من الأنصار والمريدين. ثم عاد إلى إيران بعد أن أصبح له عدد كبير من الأتباع. هذه العودة كانت أحد العوامل الرئيسية التي ساعدت في انضمام الأتراك إلى الحركة الصفوية. في البداية، دخل الشيخ جنيد في صراع مع عمه الشيخ جعفر في أردبيل على حق الزعامة، وبعد فشله في الحصول على هذاالمنصب، هاجر إلى الأناضول. في الأناضول، وجد الشيخ جنيد بيئة خصبة لاستقطاب العديد من المزارعين والبدو الرحل، الذين أبدوا استعدادًا لتبني المذهب الشيعي. ومع بلاغته وقدرته على التأثير، استطاع أن يجذب أكثر من خمسة آلاف مقاتل مسلح .

قام الشيخ جنيد مع أتباعه المسلحين بزيارة حاكم آق قوينلو، أوزون حسن، الذي استقبله

([1]) H Sührweide Op. Cit. PP. 141-142 بديع جمعة وأحمد الخولي: المرجع السابق ص(٤٥)

([2])بديع جمعة وأحمد الخولي المرجع السابق ص ٤٦ - ٤٧.

([3])إسماعيل أحمد ياغي، وآخرون: ترجمة: رسول جعفريان، قم، مركز الحوزة والجامعة، ١٣٧٩.هـ، ش ٢٨

بحرارة، حتى أنه زوّجه أخته خديجة بيكم. وبعد فترة من الزمن في الأناضول، عاد الشيخ مع مريديه إلى أردبيل. وبمجرد وصوله، تمكن ابنه الشيخ حيدر من تحقيق هدفه في الحصول على مقام الشيخ، وكان قد أمضى جزءًا من حياته في الأناضول حيث طور تنظيماته هناك. وقد تم إرسال مريدي الشيخ في دورات تدريبية لتعزيز معرفتهم، ليتم بعد ذلك إرسالهم إلى مناطق أخرى تحت اسم "خلفاء"، حيث كانت مهمتهم التبليغ عن الطريقة الصفوية وجمع الأموال لها .([1])

استمر عدد مريدي الشيخ حيدر في الأناضول في التزايد بشكل ملحوظ نتيجة الدعاية المستمرة، فهؤلاءالمريدون كانوا يتوجهون إلى أردبيل حاملين الهدايا والنذور لزيارة شيوخهم، وكانوا قد أنشأوا منطقة خاصة بهم في المدينة سُمّيت "الأناضوليون" ([2])

دور طائفة " أفشار" التركية في دعم الصفويين :

كان لطائفة أفشار التركية، التي هاجرت من تركستان بعد أن استولى المغول على أراضيهم، دور في دعم الصفويين. استقروا في ولاية آذربيجان ومن ثم انضموا إلى الشيخ صفي الدين وأبنائه. هؤلاء المهاجرون كانوا من بين المساعدين الرئيسيين للشاه إسماعيل في فتوحاته وإدارة مملكته. ([3])

الإجراءات العثمانية الصارمة لمنع الهجرة المستمرة من أراضيها إلى إيران:

اتخذت الدولة العثمانية إجراءات صارمة لمنع الهجرة المستمرة من أراضيها إلى إيران، وذلك بسبب التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الهجرات. فقد كان المهاجرون يحمّلون الأفراد الذين لم يهاجروا ضرائب ثقيلة، مما أثار قلق المؤسسات الدينية والاقتصادية. كما أن هجرة هؤلاء الأفراد شكلت تهديدًا كبيرًا لأصحاب الأملاك في الدولة العثمانية، مما جعل هذه القضية تشكل مصدر قلق للسلطان. ([4])

([1])انظر: حسن بيك روملو، أحسن التواريخ: ١٠، تحت نظر: عبد الحسين نوائي، طهران، انتشارات بابك،-١٣٥٧هـ؛ ش فاروق سومر، نقش تركان آناضولي در تشكيل و توسعه دولت صفوى: ١٦؛ منوچهر پارسا دوست، شاه إسماعيل الأول: طهران، شركة مساهمة انتشار، ١٣٧٥هـ. ش ٣٨٩.

([2])أحسن التواريخ: ص٥.

([3])انظر: نصر الله فلسفي، زندگاني شاه عباس أول ١: ١٦٤؛ فاروق سومر، المصدر السابق: ٦٧ ـ ١٢١.

([4])تاريخ إسلام: ٤١٦، تحقيق: جامعة كمبردج.

تزايد أتباع الأسرة الصفوية في الدولة العثمانية :

على الرغم من قصر فترة حكم "جنيد" في الأناضول، فقد استطاع أن يجذب إليه عددًا كبيرًا من الأتباع المخلصين، وكان البعض منهم يساهم في نشر الطريقة الصفوية في الأناضول، مما أدى إلى تزايد أتباع الأسرة الصفوية في الدولة العثمانية، خاصة في المناطق الشرقية. وعندما علم هؤلاء الأتباع بجلوس إسماعيل على العرش، خرجوا لدعمه في العديد من معاركه داخل إيران. نجحت جهود إسماعيل العسكرية في جذب المزيد من العثمانيين للانضمام إلى الدولة الصفوية، مما جعل هذه الهجرة ظاهرة ملحوظة في تلك الفترة. (١)

كان السلطان بايزيد الثاني يدرك تمامًا أن انضمام هؤلاء المهاجرين إلى جيش الشاه يمثل تهديدًا للدولة العثمانية، حيث كان هؤلاء الأفراد يشكلون جزءًا من القوة العسكرية الصفوية، مما جعله غير راض عن تدفق هذه الهجرات، وأصدر أوامره بمنعها، خاصة أن هؤلاء المهاجرين كانوا يشكلون خطرًا على استقرار الدولة العثمانية وشعبها، في حال انضموا إلى جيش الشاه إسماعيل فكانوا سيفا مسلطا على بلاده. (٢)

(وبموجب هذا القرار، لم يجد إسماعيل من خيار سوى أن يرسل رسالة إلى السلطان بايزيد يطلب منه السماح لأتباع الصفويين بالذهاب إلى إيران لزيارة مقابر أسلافهم الصفويين والتبرك بها. وأوضح في رسالته أن حكام الحدود قاموا بمنع هؤلاء المريدين من السفر، حيث اعترضوا طريقهم وأعادوهم إلى بلادهم مرة أخرى. (٣)

استقدام المهاجرين العثمانيين ساهم في دفع الحركة الاقتصادية والفنية في مدينة أصفهان:

(ومن المؤكد أن استقدام هؤلاء المهاجرين كان له آثار إيجابية في البداية، إذ ساهم في دفع الحركة الاقتصادية والفنية قدمًا في مدينة أصفهان، التي كانت مركزًا حيويًا للصفويين. إلا أنه، بسبب ضعف ارتباطهم الإثني والديني مع الإيرانيين، كان لهم دور

(١)جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران، دار الروضة، بيروت سنة ١٩٨٩م، ص ٢١

(٢)رسول جعفريان صفويه در عرصه دين فرهنگ و سياست، ناشر پژوهشكده حوزه و دانشگاه، قم، ١٣٧٩هـ ش، ٣٦/١ ، و صديق صفى زاده تاريخ پنج هزار ساله ايران تهران (د.ت.)، ج ٢ ص ١٦٠٥

(٣)توفيق حسين فوزى رؤية ثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي ومقدماته في عهدي بايزيد الثاني وسليم الأول رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس سنة ١٩٨٦م، غير منشورة ، ص ٥٢.

سلبي في انهيار الاقتصاد الإيراني،إذ عمدوا إلى تهريب العملة الإيرانية إلى البصرة، بالتعاون مع الهولنديين. ([1])

([1])مريم مير أحمدي المرجع السابق، ص ١٠١ – ١٠٢.

المبحث الرابع

الأبعاد المترتبة عن هجرة العثمانيين إلى إيران

أولا: البعد الاجتماعى لهجرة العثمانيين إلى إيران:

اتضحت الآثار الاجتماعية والثقافية الناتجة عن هجرة العثمانيين إلى إيران من خلال انتقال أعداد كبيرة منهم إلى مناطق متعددة داخل الأراضي الإيرانية، حيث شكّلوا جماعات ساهمت في نقل العادات والتقاليد والأفكار والآداب العثمانية، في الوقت الذي تأثروا فيه أيضًا بالعادات الفارسية وأفكارها وآدابها. وتُعدّ هذه الظاهرة من أقدم أشكال الهجرة الجماعية، إذ بدأت قبل تأسيس الدولة الصفوية بما يقرب من قرن من الزمان، حيث كانت الهجرة التى وقعت في العصر التيموري بمثابة النواة التي بُني عليها لاحقًا جيش القزلباش، كما يُعدّ من أولى موجات هجرة أتراك الأناضول نحو الأراضي الإيرانية، وتحديدًا إلى أردبيل، حيث مقر مشيخة الأسرة الصفوية، وكان ذلك خلال فترة الشيخ علاء الدين علي (١٣٩٢ – ١٤٢٨م)، حينما قام تيمورلنك بعد انتصاره في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م بإهداء الشيخ ثلاثين ألفًا من الأسرى الأتراك. (١) أقام معظمهم في تلك المناطق، وتزوجوا من نساء أذربيجانيات فأسسوا أسرًا كبيرة، وأصبحوا يُعرفون فيما بعد باسم "روملو"، نسبة إلى منشئهم من بلاد الروم، أي أراضي الدولة العثمانية. (٢)

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة العثمانيين إلى إيران التأثر بأنماط الزى الرجالى:

ومن المظاهر الاجتماعية البارزة الناتجة عن هذه الهجرة، التشابه الكبير بين الإيرانيين والأتراك في أنماط ملابس الرجال والنساء. فقد كان الزيّ الرجالي لدى العثمانيين يتكوّن من سروال واسع وقميص أو سترة تُعرف باسم "دلمان"، وغالبًا ما تكون مطرزة. وكان يُلف حول الخصر نطاق يُدعى "كمر".(٣) يُستخدم لحمل النقود، ويُخفى بداخله كيس صغير لحفظ المنديل، يُطلق عليه "دستمال" (٤) وفوق القميص والسروال، كان يُرتدى قفطان

(١)باستاني باريزي مرجع سابق، ص ١٣.
(٢)تاريخ قزلباشان ص ١١.
(٣) كمر : كلمة فارسية مخففة من اكبر بنده وتعني النطاق أو الحزام. عبدالوهاب علوب،الفارس معجم عربى فارسى ،المركز القومى للترجمة القاهرة ٢٠١٠م ،ص ٦٢٩.
(٤) دستمال: كلمة فارسية تعني المحرمة أو المنديل.عبد النعيم حسنين ،قاموس فارسى عربى ،دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٢م. ص٢٥١

طويل يحمي الأفراد من البرد، ويُنتعل حذاء يُعرف بـ"بابرچين" حماية للقدمين من كل شئ.([1])

وكانت خامات هذه الملابس تتنوع بين الكتان والحرير والصوف بحسب قدرة صاحبها المادية، كما كان القفطان في بعض الحالات يُبطّن بالفرو العادي أو الفاخر. أما رؤوس الرجال فكانت تُحلق، وتوضع فوقها عمائم مصنوعة من قطعة قماش تُلفّ حول قلنسوة من اللباد. ([2]) فكان هذا الزى يرتبط بطبيعة البلاد الباردة شتاء مع توافر عناصرها من البيئة.

في حين أن ملابس الرجال في الدولة الصفوية كانت تتكوّن من قمصان طويلة تُغلق من الأمام، ويُلف الخصر بنطاق من القماش أو الجلد، فإذا كان من الجلد سُمي "كمربند"، وإذا كان من القماش سُمي "شال". وكانوا يرتدون فوق هذه القمصان معاطف قصيرة تُسمى "نيم تنه"، وإذا كان القميص قصيرًا، فإنهم كانوا يرتدون تحته شلوارًا – وهو سروال – كما كانوا يغطّون رؤوسهم الحليقة بعمائم بيضاء تُزيّنهاخيوط ملونة. ([3])

يُلاحظ من خلال مقارنة الملبس بين العثمانيين والإيرانيين مدى التشابه الواضح، سواء في السراويل أو القمصان أو الملابس الفوقية، بل وحتى في تقاليد حلاقة رؤوس الرجال ولف العمائم فوقها، وهي سمة مشتركة كان لها جذور أقدم.([4])

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة العثمانيين إلى إيران التأثر بأنماط الزى النسائى:

أما ملابس النساء في الدولة الصفوية، فقد تميزت بالألوان المبهجة والزاهية، وكانت تتكوّن من سراويل طويلة تصل حتى القدمين، تعلوها قمصان متعددة الألوان، وعند خروج المرأة الإيرانية من بيتها، كانت تضع على رأسها قطعة قماش كبيرة تمتد حتى الأرض تُعرف باسم "چادر" .([5])

وعند النظر إلى ملابس النساء في الدولة العثمانية، نجد أنها لم تختلف كثيرًا، إذ كانت تتكوّن من سراويل طويلة تصل إلى القدمين، تُخاط من أقمشة متعددة، وأجودها قماش

([1])بايوجين كلمة تركية تعني الحذاء ، محمد على الألوسي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت ١٣١٢ هـ. ص ٤٢، ١٣٨.

([2])الدري كلو مرجع سابق ص ٢٥٣.

([3])حبني ماز كو لباس ايرانيان در قرن (١١) ١٧ ميلادي) ترجمة منصورة نظام ما في محلة بررسيهاى تاريخى، شماره ١ سال نهم من ١٦٠ ت ١٦٣. وانظر شاكر كسرائى/معجم فارسى/ الدار العربية للموسوعات،ط بيروت ١ لعام ٢٠١٤()

([4])القلقشندي: مصدر سابق ، ج ٤ ص ٤٠.

([5])جيني ماركو مرجع سابق، ص ١٦٠ – ١٦٤.

الدمشقى المنسوب إلى مدينة دمشق. وكان هذا السروال يُرتدى فوقه "الصدار"، وهو لباس علوي مصنوع من الحرير للنساء الثريات، ومن قماش عادي للنساء العاديات، يتميز بأكمام قصيرة وعريضة ويُغلق بزر عند الرقبة. كما كانت النساء العثمانيات يضعن على رؤوسهن طاقيات تعلوها قطعة قماش تُسمى "يشمق" (١) تُستخدم لتغطية الرأس عند مغادرة المنزل. (٢)

هذه التشابهات الكثيرة بين الزيّ النسائي في الدولتين تعكس مدى التبادل الثقافي الذي نشأ بفعل موجات الهجرة بين العثمانيين والإيرانيين، وتأثير كل منهما علي الآخر.

من مظاهر البعد الاجتماعى لهجرة العثمانيين إلى إيران التأثر بتقاليد الأطعمة والمأكولات:

ولم يقتصر التأثير المتبادل على أنماط الملبس فقط، بل امتد أيضًا إلى العادات الغذائية، وهي من أبرز عناصرالثقافة الشعبية التي تأثرت بسبب تنقّل السكان بين الدولتين. فقد حمل العثمانيون معهم تقاليدهم في الأطعمة والمأكولات، واختلطت هذه العادات بالعادات الإيرانية، فنشأت أطباق مزيجة تدل على تأثر المطبخ الإيراني بالمطبخ العثماني في تلك المرحلة. ويُعد طبق "الباقلاوا" مثالًا واضحًا على هذا التداخل؛ إذ أشار كبير طهاة الشاه عباس إلى أنها تُعدّ في بلاد الروم العثمانيين بدرجة عالية من الإتقان، وأضاف أن لهم نوعًا آخر منها يُعرف بـ"بزلماج"، وهو نفسه النوع المعروف في بلاد الشام باسم الباقلاوا (٣).

من بين الأوجه الثقافية الغذائية التي تأثرت بها إيران نتيجة هجرة العثمانيين إليها، كان المطبخ واحدًا من أبرز عناصر التفاعل، فقد انتقلت كثير من الأطعمة التقليدية التي كانت تُحضّر في بلاد الأناضول إلى البيئة الإيرانية، ووجدت طريقها إلى موائد الصفويين، سواء من خلال تقليد الوصفات أو إدخال تعديلات عليها.ومن بين هذه الأطعمة "بورق" (بورك) (٤) ، وهي أكلة تعتمد على حشو اللحم داخل رقائق رقيقة من العجين، ثم تُطبخ حتى

(١) يشمل النقاب (محمد علي الألوسي مرجع سابق ص ٥٤٠.
(٢)اندري كلو مرجع سابق، ص ٢٥٣.
(٣)باقلاوا كلمة تركية تطلق على نوع من الحلويات (محمد الألوسي المرجع السابق، ص ١٠٤.
(٤)بورك كلمة تركية تعني الرقائق والفطائر (محمد على الألوسي المرجع السابق، ص ١٢٠.

تصبح لينة، وهي معروفة في مدينة حلب بنفس التسمية، ممّا يدل على انتشارها في المشرق العربي أيضًا. أما طبق "دولمه كلم"، وهو عبارة عن أوراق الملفوف المحشوة بالأرز واللحم، فقد أشار الطهاة إلى أنه من الأطعمة المنتشرة عند الروم – أي العثمانيين – لكنه لم يكن شائعًا بين الإيرانيين. ومن المأكولات الأخرى التي دخلت إلى الثقافة الغذائية الإيرانية طبق "آش رشته". ويتكوّن من اللحم والبقوليات والخضروات المطبوخة، وهو معروف في الشام أيضًا، ولكن يُطلق عليه هناك "رشته" بلفظ مخفف.ولا يمكن إغفال "الهريسة"، وهي طبق مكوّن من لحم مطهو مع القمح، ويُرجّح أنه من الأطعمة ذات الجذور العربية القديمة .([1])

من مظاهر البعد الاجتماعى أن المقاهي الإيرانية تمثل فضاءً مفتوحًا للأنشطة الفنية والثقافية :

وإذا نظرنا إلى الحياة الاجتماعية، فإن من بين أبرز المؤثرات المشتركة التي ترسخت بفعل الهجرة العثمانية إلى إيران، المقاهي التي لم تقتصر وظيفتها على تقديم المشروبات كالشاي والقهوة فحسب، بل كانت تمثل فضاءً مفتوحًا للأنشطة الفنية والثقافية. فالمقاهي في المدن الكبرى تحولت إلى ساحات حيوية يلتقي فيها المتذوقون للأدب والموسيقى، حيث يُتناقش مرتادوها في قضايا الفكر والفن، وتُعرض فيها الرقصات، وتُروى القصص والأساطير القديمة، إلى حد أن كثرتها في بعض الأحياء جعلتها تتلاصق أبوابها،وكانت هذه الأماكن تضم، إلى جانب المشروبات، أنشطة ترفيهية متعددة، مثل ألعاب الشطرنج وطاولات النرد، وأوراق اللعب التي كانت تُعرف باسم "كنجفة"، وهي تشبه إلى حد بعيد أوراق اللعب الحديثة، وكانت تُصنع من ألواح خشبية صغيرة مُزينة برسومات شبيهة برسوم المينياتور (المتمتمات)، وتتألف من تسعين قطعة مقسّمة إلى ثمانية أقسام، تتميز كل مجموعة منها بلون مختلف، ولا يُسمح باللعب بها لأكثر من شخصين في كل مرة ([2])

([1])نور الله شير باشي مادة الحياة مخطوط كتابخانه مركزى دانشگاه تهران شماره ٢٥٩١ص٤٩٦، ١٥٨، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٧٠.

(١) نصر الله فلسفى، حياة الشاه عباس الأول، مطبعة جامعة طهران مجلس البحوث الإيراني؛ مطبعة جامعة طهران، ١٩٥٥م،، ج ٢ ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

من مظاهر البعد الاجتماعى أن المقاهي أضحت مراكز نابضة بالأنشطة الفنية والثقافية:

وفي إطار التأثر الحضاري المتبادل بين الصفويين والعثمانيين، لا يمكن إغفال دور المقاهي كمظهر اجتماعي لافت، بدأ بالتشكل في المجتمع الإيراني انطلاقًا من قزوين، إبان حكم الشاه طهماسب الأول (١٥٢٤–١٥٧٦م). وقد استوحيت فكرتها من النموذج العثماني، تحديدًا في إسطنبول زمن السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠–١٥٦٦م)، إلا أن هذا التقليد لم يتوقف عند حدود النقل، بل نما وتطور ليبلغ ذروته في أصفهان خلال عهد الشاه عباس الأول، حيث تحولت المقاهي إلى مراكز نابضة بالأنشطة الفنية والثقافية، تجمع الشعراء والموسيقيين والخطاطين والرسامين، وتلعب دورًا محوريًا في الحراك الثقافي للمدينة.([1])

وفيما يتعلق بالمناسبات الدينية والاحتفالات الإسلامية، فإن الطقوس المرتبطة بشهر رمضان وأعياد المسلمين الكبرى كانت سائدة لدى شعبي الدولتين، باعتبار أن غالبية السكان تنتمي إلى الدين الإسلامي. ومع ذلك، فقد طغت على الممارسات الصفوية صبغة مذهبية شيعية خاصة، تبلورت في إحياء المناسبات المرتبطة بأئمة أهل البيت، وعلى رأسها العشرة الأولى من محرم، التي تسبق إحياء عاشوراء إذ كانت هذه المناسبة تحظى باهتمام شعبي ورسمي بالغ، يشكل فارقًا ملموسًا عن الطقوس المتبعة في الدولة العثمانية([2]).

ثانيا: البعد الثقافى لهجرة العثمانيين إلى إيران:

ولا تقتصر أوجه التفاعل بين الكيانين على الممارسات الاجتماعية والدينية، بل تتعداها إلى المجال الثقافي، حيث اتسمت العلاقة بين الدولتين بتبادل فكري نشط، فرضته التشابهات الإثنية والدينية.

العنصر التركي يشكّل الدعامة الأساسية لنشوء الدولتين والتقارب العميق فى الرؤى :

العنصر التركي الذي شكّل الدعامة الأساسية لنشوء الدولتين، أدى إلى تقارب عميق في الرؤية السياسية والثقافية بينهما. ويُعتبر هذا الأصل المشترك من أهم ركائز الوحدة بين

([1]) طاهري عبدالله ناصري بعلبك شهر آفتاب وحلب شهر ستارگان تهران ١٣٦٦ هـ ش . ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦

([2])أبو القاسم طاهري المرجع السابق، ص ٣٣٩

شعوب الدولتين، بحسب ما يؤكده علماء الاجتماع من خلال مفهوم "الدم المشترك"، الذي يمثل عامل تماسك اجتماعي بالغ الأثر،إلى جانب ذلك، فقد ساعدت وحدة اللغة المستخدمة في الطبقة الحاكمة لدى الطرفين – أي اللغة التركية – على تعزيز هذا القرب الثقافي.

اللغتان العربية والفارسية ساهمتا في إثراء البيئة الثقافية وتوسيع دائرة التبادل المعرفي:

كما أن اللغتين العربية والفارسية، وهما لغتا العلم والأدب في تلك الحقبة، شكّلتا أدوات للتعبير عن الفكر الإسلامي لدى العلماء والكتّاب من كلا الجانبين، وهو ما ساهم في إثراء البيئة الثقافية وتوسيع دائرة التبادل المعرفي، وفي هذا السياق، فإن التداخل اللغوي بين العربية والفارسية والتركية لا يُعدّ مجرد تفاعل سطحي، بل هو نتاج لحوار حضاري ممتد، أتاح لكل لغة أن تؤثر وتتأثر. فقد تسربت مفردات عربية إلى نصوص الفرس والأتراك، كما تأثرت اللغة التركية بالأدب الفارسي، وتداخلت مفرداتهما داخل المؤسسات الإدارية والدواوين الرسمية. ولعل هذا التمازج اللغوي يعكس عمق الروابط الحضارية التي جمعت الكيانين على مدار عقود طويلة.

التأثيرات المتبادلة بين اللغتين الفارسية والتركية امتداد لمسار طويل من الاحتكاك والتداخل الثقافي:

عند النظر في الحراك اللغوي الذي شهدته الحقبة الصفوية، يتضح أن التأثيرات المتبادلة بين اللغتين الفارسية والتركية لم تكن وليدة اللحظة، بل كانت امتدادًا لمسار طويل من الاحتكاك والتداخل الثقافي. فبينما أثّرت اللغة الفارسية على التركية، لاسيما في ميادين الأدب والديوان، فإن اللغة التركية بدورها بدأت تترك بصمتها على الفارسية بشكل لافت منذ المرحلة التي أعقبت انحسار الدولة التيمورية، وتحديدًا خلال عهدي القره قويونلو والآق قويونلو، حيث ازداد الحضور السياسي والعسكري للعنصر التركماني في إيران، مما مهد الأرضية لتسلل المفردات التركية إلى البنية اللغوية الفارسية ، ومع تأسيس الدولة الصفوية على يد الشاه إسماعيل الأول (١٥٠١–١٥٢٤م)، الذي ينحدر من أصول تركية أذرية، تعززت تلك الظاهرة اللغوية وتوسعت. فقد أسس الشاه سلطانه بمؤازرة القبائل التركمانية المتصوفة المعروفة باسم "قزلباش"، وهي الفئة التي شكّلت العمود الفقري للسلطة الحاكمة

في إيران آنذاك. ونتيجة لانتشار هذه القبائل في كافة الأقاليم الإيرانية، وتغلغلهم في مفاصل الدولة ومؤسساتها، أصبحت اللغة التركية، وخصوصًا لهجتها الأذرية، رفيقة يومية للفارسية، لا سيما في الدواوين والبلاط ومرافق الجيش، الأمر الذي سمح باندماج مفردات تركية واسعة في المعجم الفارسي المتداول، وتأكيدًا لهذه الظاهرة، يُستشهد بعدد من المفردات التركية التي وجدت طريقها إلى الاستعمال اليومي بين الفرس،مثل: "باشماقچي" وتعني صانع الأحذية، و"ييلاق" للمشتى، و"قشلاق" للمصيف، و"كمك" للمساعدة، و"قمچه" للسوط، و"قيجي" للمقص، و"خانم" للسيدة، و"آغا" للسيد، و"أزوغه" للأطعمة. ورغم أن الصفحات السابقة قد أشارت إلى بعض من هذه المفردات، فإن إعادة التذكير بها هنا يكتسب مشروعيته من ضرورة إبراز عمق الاختراق اللغوي التركي في الحياة اليومية لديهم.([1])

من البعد الثقافى هيمنة اللغة التركية على الحكام الصفويين والأدباء الإيرانيين:

ومن المثير للاهتمام أن الحكّام الصفويين أنفسهم لم يكونوا بمنأى عن هذا التأثير، فقد كانت اللغة التركية لغتهم الأولى في غالب الأحيان، إلى جانب إتقانهم للفارسية. ويروي المؤرخون أن الشاه حسين (١٦٩٤–١٧٢٢م)، آخر حكام الدولة الصفوية، كان يفضّل الحديث بالتركية، ويُعرف عنه أنه كان يردّد عبارة "يخشي دورّه" (أي: جيد جدًا) كلما عُرضت عليه مسألة تستحسن الموافقة([2]) وإذا تجاوزنا حدود البلاط، نجد أن هذه الهيمنة اللغوية امتدت إلى المشهد الأدبي نفسه، حيث ظهر شعراء تركوا الفارسية جانبًا ونظموا أعمالهم حصريًا بالتركية، ومن أبرزهم محمد بك أماني، حاكم يزد، ودرويش بكتاشي، أحد قادة القزلباش من فرع الشاملوليين، والذي تميز شعره ببساطة الأسلوب ورقة المعنى. كما برز أيضًا كل من "قول حكمة"، و"بير سلطان أبدال"، و"شاهر بردي حمدان"، الذي عُرف بتوقيعه الشعري "غيوري"، وكان من كبار الأمراء الأتراك في بلاط الشاه طهماسب، مما يدل على أن الشعر التركي كان له حضوره الوازن في الثقافة الصفوية. ([3])

([1]) پرويز ناتل خانلرى: تاريخ زبان فارسى ،تهران ١٣٥٢ هـ ، ج ٢ ص ١٢٢.

([2]) محمد تقي بهار :سبک شناسى، تهران، ١٣٣٩ هـ شرا،ج ٣ ص ٢٤٣، باستاني باريزي: المرجع السابق، ص ٣٣١.

([3])كلوس كرين وأخرون المرجع السابق ص ٥٦٩، سعيد عيسي: المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٩٧، جواد هيئت: المرجع السابق، ص ١٣٤.

الخاتمة

حين نقف في نهاية هذا البحث عند محصلة ما تمّ تناوله وتحليله من وقائع وأحداث، ندرك بوضوح أن الهجرة لم تكن مجرد حركة تنقل أفراد أو جماعات بين دولتين جارتين، بل كانت جسرًا حيًّا عبرت عليه ثقافات، وتلاقت عنده حضارات، وتشكلت من خلاله أنماط اجتماعية وروحية وثقافية ، تركت آثارًا عميقة في الوجدان الجمعي لكلا الشعبين الإيراني والتركى خلال العصر الصفوي (١٥٠١م – ١٧٥٦م). **مما أسفر عن عدد من النتائج وهى:**

١– تبيّن من خلال الدراسة أن العلاقة بين الطرفين لم تكن علاقة جفاء أو صدام دائم، كما قد توحي به بعض الروايات السياسية، وإنما كانت في جوهرها علاقة تداخل إنساني وثقافي واجتماعي. فقد أثمرت الهجرات المتبادلة عن تقارب شعبي حقيقي، تجلّى في العادات والتقاليد، وفي اللغة والفن، وحتى في طرق التفكير والتعبير الأدبي والمذهبى. وكانت الشريعة الإسلامية، بمذاهبها المختلفة، مظلة جامعة منحت تلك العلاقة امتدادًا روحيًا وإنسانيًا عميقًا، عزز بدوره من حركة التنقل والتبادل بين الشعبين.

٢–كشفت هذه الدراسة عن أن الهجرة ساهمت في تعزيز العلاقات الودية، لا سيما مع استمرار توافد العلماء والفقهاء والعارفين من إيران إلى الأراضي العثمانية، والعكس، حيث فتحت إيران أبوابها لمن ضاقت بهم السبل في الأناضول، خصوصًا من الشيعة الذين وجدوا في الملوك الصفويين سندًا دينيًا وسياسيًا. كما أسهم هذا التبادل البشري في إعادة تشكيل بعض ملامح الهوية الثقافية للطرفين، فدخلت مفردات تركية إلى الفارسية، كما ازدهرت الفنون الفارسية في إسطنبول، وتلاقحت المدارس الفكرية والأدبية عبر هذا الحراك الإنساني.

٣–من أهم ما يمكن الإشارة إليه هو أن العنصر التركي، الذي مثّل الدعامة الأساسية في كلا الدولتين، كان له دور محوري في توحيد كثير من الملامح الثقافية، من اللغة والإدارة إلى الفنون والآداب. كما تشابهت المجتمعات في أنماط معيشتها، من الملبس والمأكل إلى أنماط الحياة اليومية، ما يدل على عمق التأثير الاجتماعي للهجرة المتبادلة، وقدرتها على كسر الحواجز المذهبية والقومية، وإرساء نوع من التعايش المشترك، وإن كان هشًا أحيانًا.

٤-حاول هذا البحث أن يسلط الضوء على جانب من التاريخ المغيّب، ذلك الذي لا تسجله المعارك ولا تُظهره المعاهدات، بل تنقله القصائد والكتب والمدن التي تغيّرت ملامحها مع كل موجة هجرة. ويبقى الأثر الثقافي والاجتماعي للهجرة بين الإيرانيين والعثمانيين نموذجًا غنيًا لفهم كيف يمكن للتاريخ المشترك أن يصنع تآلفًا يتجاوز الحدود السياسية، ويؤسس لروابط إنسانية ضاربة الجذور.

٥-الكشف عن حسن العلاقات بين الجارتين المسلمتين ، من خلال الاشتراك الموجود في الثقافة والتاريخ والاعتقاد بينهما، وبالخصوص الشريعة الإسلامية المقدّسة، التي هي عنوان الدين المشترك بينهما، كل تلك الأمور أوجَدَت علاقة حميمة بين الجارَيْن ، والمتمثلة فى تردّد الزوّار والتجّار بين الشعبين.

٦- تبادل الطرفان تأثيرات متنوعة في الجانب الاجتماعى والثقافة والفنون والآداب. وتشابه فى العادات والتقاليد إلى حد ما فى المأكل والملبس وما إلى ذلك من الفعاليات الاجتماعية. فالمهاجرون الإيرانيون، الذين من جملتهم :الأدباء، العرفاء، العلماء، وأهل الفنون، إلى الدولة العثمانية. كما كانت هجرة العثمانيين إلى إيران فرارا من ظلم السلاطين العثمانيين وشدّتهم، وبالخصوص الشيعة، الذين كانوا يتّخذون الملوك الصفويين بعنوان مرشدين لهم.

٧- بيان أن العنصر التركي يشكل الحجر الأساسي للدولة العثمانية، وكذلك بالنسبة الدولة الصفوية .وله السيادة على الطرفين ، وأن الدولة العثمانية تضم العرب والكرد والأرمن والكرجستانيين وكذلك الدولة الصفوية تضم أقرانهم .

٨- تقريب العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين نتيجة الهجرات المتبادلة بين البلدين.واحتلت اللغة التركية المكانة العليا في الدولتين معاً، الدولة العثمانية وفي الدولة الصفوية، وانعكس على مجتمعي الدولتين ثقافة متشابهة فيها الكثير من القيم الروحية والأخلاقية والوجدانية .

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم والقواميس:

(١) حسن عميد: فرهنگ فارسى عميد، تهران ١٣٦٤ هـ ش.

(٢) شمس الدين سامي: المعجم التركي التوالي، انسان، ١٩٨٩، وهو قاموس (تركي – تركي) .

(٣) عبدالله البسنانى: معجم الوافى ،مكتبة لبنان ،بيروت ١٩٨٠م.

(٤)عبد النعيم حسنين، قاموس فارسى عربى ،دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٢م.

(٥) عبدالوهاب علوب، الفارس معجم عربى فارسى ،المركز القومى للترجمة القاهرة ٢٠١٠م .

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر،بيروت (د.ت)

الكتب الفارسية :

(٧) أردشير إسترآبادي عزيزي: بزم و رزم، تحت نظر: محمد فؤاد كوبرلي زاده، إسطنبول، ١٩٢٨.

(٨) إسكندر بيك روملو: تاريخ عالم آراى عباسي، تحقيق. : أبرج افشار، تهران سنه. ١٣٨٢. هـ.ش

(٩) إسماعيل أحمد ياقي: دولت عثماني أز اقتدار تا انحلال: ٢٨، ترجمة: رسول جعفريان، قم، مركز الحوزة والجامعة، ١٣٧٩.هـ.ش

(١٠) إسماعيل حقي أوزون جارشي لي: تاريخ عثماني،ترجمة أبرج نوبخت،تهران ١٣٧٧هـ .ش

(١١) باستاني باريزي:، إبراهيم: سياست واقتصاد عصر صفوى، تهران ١٣٦٧هـ،ش.

(١٢) پرويز ناتل خانلرى: تاريخ زبان فارسى ،تهران ١٣٥٢ هـ . ش

(١٣) بطروشفسكي، ايليا ولويج، اسلام در ايران، ترجمة كريم كشاورز ط ٧، ١٣٦٣ هـ . ش، ٤٥، طهران.

(١٤) جواد هيئت سيرى: در تاريخ زبان واهمه هاى تركى، تهران، ١٣٩١ هـ .ش

(١٥) حسن بيك روملو: أحسن التواريخ: تحت نظر: عبد الحسين نوائي، طهران، ١٣٥٧هـ. ش،

(١٦) حسين عبدالله شيرواني: الأحكام الدينية في تكفير قزلباش: تحت نظر :رسول جعفريان، قم، ميراث إسلامي إيراني، المكتب الرابع، مكتبة آية الله العظمى مرعشي نجفي، ١٣٧٦هـ ش، ١٤١٧هـ.

(١٧) خطيب شيرازي: قلندرنامه ، تصحيح: حميد زرين كوب، طهران، انتشارات طوس، ١٩٦٢م.

(١٨) داور دورسون:دين وسياست دولت عثماني: ترجمة: منصورة حسيني، داور وفائي، طهران، وزارت الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٨١هـ ش.

(١٩) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران ٥ (القسم الأول):.الناشر:انتشارات ابن سينا،طهران (د.ت).

(٢٠) رحيم رئيس نيا:روابط إيران وعثماني ، تبريز، نشر ستوده، ١٣٧٤.هـ.ش

(٢١) زرين كوب: تاريخ إيران بعد أز إسلام:الناشر مؤسسة انتشارات امير كبير،, ١٩٧٦ م.

(٢٢) زكريا طرزمي:(سنت هاي ديني واجتماعي مشترك)، آشنا، السنة الأولى، رقم ٤، (شتاء ١٣٧٤هـ

(٢٣) سعيد عيسى :تاريخ علم وتر اور ايران ومن زيك فارسى نمايان قرن دهم هي، تهران ١٣١٣ هـ ش.

(٢٤) صديق صفى زاده: تاريخ پنج هزار ساله ايران تهران (د.ت).

(٢٥) طاهري عبدالله ناصري بعلبك شهر آفتاب وحلب شهر ستارگان تهران ١٣٦٦ هـ ش

(٢٦) عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ،طبعة دار النفائس بيروت ١٩٩٩.م

(٢٧) عبد الحسين زرين كوب: تاريخ مردم إيران ،طهران ،١٣٦٧هـ. ش

(٢٨) عبد الحسين والي وآخرون: تاريخ روابط فرهنگى ايران، تهران، ٢٥٣٩ شاهنشاهى.

(٢٩) عبد الكريم كلشني: فرهنگ إيران در قلمرو تركان: اشعار فارسى نعيم فراشرى، شاعر و نويسنده قرن نوزدهم آلبانى الناشر تجارتخانه گلشنى ١٩٧٥م.

(٣٠) عبدالله ناصري طاهري: بعلبك شهر آفتاب و حلب شهر ستارگان، تهران، ١٣٦٦ هـ ش.

(٣٢) فاروق سومر: نقش تركان آناضولي در تشكيل و توسعه دولت صفوي: ٢ (مقدمة)، ترجمة: إحسان إشرافي، محمد تقي إمامي، تهران، نشر گسترده، ١٣٧١هـ.

(٣٣) فتح الله مجتبائي، مادة حسن بن يتقي الأهي: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى تهران، ١٩٩١ .م

(٣٤) لويس، إستانبول وتمدن إمبراطوري عثماني، ترجمة: ماه ملك بهار، طهران، علمي وفرهنگي، ١٣٦٥هـ .ش

(٣٥) مجهول: تاريخ قزلباشان ،به اهتمام :مير هاشم محدث ،تهران ١٣٦١هـ .ش

(٣٦) مجير شيباني ، نظام الدين ،تشكيل شاهنشاهى صفوية وأحياء وحدث ملى،تهران ١٣٤٦هـ .ش

(٣٧) محمد أمين رياحي: زبان وأدب فارسي در قلمرو عثماني ، نوشته دكتر محمدأمين رياحى، تهران، ١٣٦٩هـ.

(٣٨) محمد تقي بهار :سبک شناسى، تهران، ١٣٣٩ هـ

(٣٩) مريم مير أحمدي دين و دولت در عصر صفري،تهران ١٣٦٩هـ .ش

(٤٠) هامر ،ف .ب:تاريخ امبراطورى عثمانى، ترجمة ميرزا زكى على مازندرانى، به اهتمام: جمشيد كيان فر، تهران ١٣٦٧هـ .ش

الكتب العربية:

(١١) بايزيد الثاني وسليم الأول رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس سنة ١٩٨٦م، غير منشورة .

(٤٢) جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران، أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية دار الروضة، بيروت سنة ١٩٨٩م

(٤٣) خير الدين الزركلي : الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين(د.ت)

(٤٤) ابن العماد الحنبلى عبدالحى بن أحمد ت١٠٨٩هـ: شذرات الذهب ، بيروت ١٩٧١.م

(٤٥) قطب الدين النهروالي ، ت ٩٩٠هـ: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،بيروت ١٩٦٤م

(٤٦) قفطان القياء محمد على الأسي الدراري: اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت ١٣١٢ هـ.

(٤٧) قيس آل قيس الإيرانيون والأدب العربي، تهران ١٩٨٦ .م

(٤٨) محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة،دار القلم بيروت ١٩٩٩م

(٤٩) محمد علي الألوسي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات ،بيروت ١٣١٨ هـ وهو قاموس (عثماني – عربي) .

(٥٠) نصر الله فلسفى ،إيران وعلاقاتها الخارجية فى العصر الصفوى، تحقيق محمد فتحى يوسف ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٩م.

(٥١) أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، دمشق، ١٩٨١.

(٥٢) اندري كلو :سليمان القانونى، دار الجيل بيروت ١٩٩١م

(٥٣) ابن إياس: محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ،تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٤م.

(٥٤) بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم،القاهرة ١٩٧٦م.

(٥٥) توفيق حسين فوزى: رؤية وثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي ومقدماته في عهدي